القول الوثيق

في أمر الرقيق

تأليف

الطبيب الشيخ

محمد أبو اليسر عابدين

رحمه الله

تقديم شيخ قراء الشام

محمد كريم راجح

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصَّلاة وأتم التسليم على محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال رسوله الكريم ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[١].

وقال الإمام الشافعي لرجلٍ طلب منه الوصية: إن الله تعالى خلقك حراً فكن حراً كما خلقك[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: متّى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتُهم أحراراً.

لماذا الحديث عن الرِّقِّ الآن في عصر يسمى عصر الحريات والإِرادات المطلقة، لا بدَّ أنه نقلةٌ إلى الوراء، وارتكاسةٌ في الفكر، فما جدوى الحديث عن مرحلة من مراحل التاريخ زالت وانمحت؟ إن الجواري والرقّ والنخاسة مفردات عفا عليها الزمن، فلماذا ننبش في التاريخ عن هذه الحالة المرضية من حالات الإِنسانية؟

إن المتتبع لأخبار العالم، والراصدَ لحركات المجتمع يجد أن الرِّقَّ ودراسته من الأهمية بمكان، إن الرِّقَّ جرثومة حيّة من أخطر الجراثيم وأقواها، وكلّما شعرتْ بوجود مضادٍ لها غيّرت من صفاتها، وبدّلت من عاداتها ومن ثمَّ تلاءمت مع وسطها الجديد كأسعد ما تكون.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/ ٤١١.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٥٧.

إن الرِّقّ حالةٌ معاشة، وأسلوب متبّعٌ اليوم أكثر منه في أي وقت مضى، ولا يمكن لأمّة افتقدت حريتها وكادت تفقد ذاتها أن تتقدّم ما لم تتعرف على قيدها الجديد، ونخّاسها المعاصر.

الرقُّ: عجز حكمي، يصيب من يقع أسيراً في حرب مشروعة.

وبهذا التعريف الإِسلامي يختلف الرقُّ في شريعة الإِسلام في مصدره ومفهومه عن قوانين وشرائع الشعوب الأخرى، فمصدره في الإِسلام حربٌ مشروعة، وهي قتال من يصدُّ دعوة الإِسلام بعد أن يتبلَّغَها، وهو في مفهومه عجز حكمي يصيبُ من يقع أسيراً في هذه الحرب، فيفقد أهليته القانونية، ويكون مملوكاً لمن يؤول إليه. وهذا العجز مؤقت يزول بالفداء أو العتق وبذلك جعل الإِسلام للرق مصدراً وحيداً أقام شرعيته على حربِ من يعترض دعوته أو يقاومها، وألغى ما سواه من المصادر الأخرى. فضيّق بذلك المدخل إلى الرِّقّ، ثم حضَّ على العتق، ويسَّرَ أسبابه فأوسع بذلك الخروج، وأمر أن يعامل الرقيق في فترة العجز الحكمي معاملةً كريمة، تحفظ شعوره الإِنساني، وأن يبقى بعد تحريره مرتبطاً برابطة الولاء لسيده يعينه ويحميه(١).

فالإِسلام لم يشرع الرِّق كما شرعته الأمم الأخرى، فجعلت منه نظاماً طبيعياً أو إلهياً، وإنما شرَّعَ العتقَ ورغّب فيه، واعتبر الرقّ نظاماً دولياً لا يمكن إلغاؤه من جانب واحد. ولم يجعله وسيلة قهر وإذلال، وإنما جعله وسيلةً لنقلَ الرقيق من الكفر إلى الإِيمان، ودمجه في المجتمع الإِسلامي(٢).

وإذا كان المجتمع الدَّولي والسياسي قد ملأ علينا حياتنا بنصوصٍ ومواثيق تدافع عن الحرية والعدل، وتنهى عن الاستعباد والظلم، وتتخذ العديد من وسائل تصفية الرقّ بصوره كلّها، فإنَّ هذه التصفية لا تزال مطمعاً بعيد المنال. بل إن بعض مكتشفات العلم الحديث قد وضعت في أيدي الأقوياء أسلحة

---

(١) وبهذه الرابطة لم يدع الإِسلام الرابطة بين العبد ومالكه رابطة ضغينة وكره، بل جعلها أقرب إلى الرابطة الأُسرية، التكاملية.

(٢) الرق ماضيه وحاضره تأليف الدكتور عبد السلام الترمانيني.

لقد أظهر أوّل ما أظهر بأن الإبقاء على الرِّقِّ له حِكَمه التي قد تبدو بعيدةً عن أذهاننا، وبعدها نفتقد شخصية الشيخ وقلمه، ويبقى وراء السطور شاهد عصر يسوق شهاداته، من خلال ما كتبه غيره، ومن أسلوبه يجري مَجرى وشهد شاهدٌ من أهلها، فمن صحيفة «الثورة» إلى مقال «صباح الخير» ومن كتاب أمريكة إلى حديث فايز الخوري. ونراه يبتعد أكثر فأكثر ولا يرد رداً مباشراً على ما يقال، ويدع ما كُتب نظرياً، وما يُتحدّث عنه بألسنة معسولة، يتركُ الجانبَ النظري كليّاً ويتكلم عن الأرقاء في المجتمع الإسلامي: الصحابة والصحابيات، التابعين والتابعيات، يريد أن يضع هذه الوثيقة الحية أمام عيون العالم أجمع، لم يقل كلاماً منمَّقاً، بل جعل الشخصيات تتحدث، ولتصرّح هذه الشخصيات في النهاية بأن الرِّقَّ في بلاد الإسلام هو الحرية فيما عداه.

وينهي الكتاب بآيات وأحاديث عن الرِّقِّ، وكيفية معاملته، وما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات.

ولم يكتف بهذا بل نجد هناك مقارنة خفية بين الرق في الإسلام والرق في الأنظمة الوضعية، والشرائع السماوية السابقة.

إنك تتلمس شخصه وراء كلِّ خبر، إنه الدليل التاريخي على ما كان من هذا النظام في ديار الإسلام، ولا يحاول إسقاط قناعاته على أحدٍ، وإنما يستعمل أنواره الكشافة ليُبْصِرَ كلُّ ذي عينين.

عدنان عبد ربه   مأمون الصاغرجي

محمد أديب الجادر

مقدمة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن الدين الإسلامي جاء كافلاً لسعادة البشر في الحال والمآل، حافظاً مَنْ تمسَّك به عن الزَّيغ والضلال، ثم إنَّ من أعظم الأمور التي هي أساسُ عمران البشر مسألةَ الرقيق وتعددَ الزوجات والطلاقَ بالشريعة الإسلامية.

وإنَّ سيرَ الحِكَم التي بُنيت عليها مسائلُ الدِّين ممّا يصعُب على العلماء أولي التمكين بيانُها، وقد يظهرُ لأُناس حِكَمٌ لا تظهر لآخرين، ولا يمكن استقصاءُ الحِكَم التي شرعَ اللهُ المسائلَ لأجلها، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان: ٣٨ـ٣٩].

وإنّ من أسباب تجلِّي الحكم وظهورها فقدانَ العمل بها، فتمَسُّ الحاجةُ إليها ويتنبّه من لم يكن تنبَّهَ، ويُفتقد لها إبّان الاضطرار، ولكنّ استمرار الموانع قد تعوق دون إرجاعها لما كانت، إذ الموانعُ أيضاً لها أسبابٌ تتطوَّرُ بالزمانِ والمكانِ والأممِ، وبما أنَّ هذه المواضيعَ الثلاثة كانت السببَ في نشر الإسلام، وسببَ رقيِّ الأمم المتمسِّكة بها، كانت دول الغربِ لا تراها ولا تقولُ بها لِمَا أنها عوائدُ شرقية بحتة، وقامت لمحاربتها بكلِّ ما أُوتيت من قوةٍ، خوفاً من التيار الذي يصيب الغرب إن بقيت مُتمسِّكةً بتلك المبادىءِ؛ ولَعَمْري، ما تمسَّكتْ بها أمةٌ على حقيقتها إلا عزّتْ ونَمَتْ وجرفت غيرَها بأسرعِ زمانٍ وألطف أسلوب، وقضت على مُجاوريها رقيّاً وعلماً وأخلاقاً وأدباً وعدداً، وهذا ما لا يرضاه الغربُ للشرق والإسلام؛ لذا فقد شدَّد بمنعها بكلِّ وسيلةٍ

---

(١) محاضرةٌ كنت ألقيتُها في شباط سنة ١٩٣٢ على الطلاب في معهد الحقوق بجامعة دمشق (بتعدادِ الزوجات وحكمته، وضرورةُ الرِّقِّ وحكمتُه، وضرورةُ الطلاقِ وحكمتُه). ثم أفردت هذه النقاطَ الثلاث كلاً على حدة.

باسم الإِنسانية مرةً وبالقوةِ أخرى، وهكذا حتى سيطروا بمنعها على قلبِ بلاد العرب وركنهم المقدّس في بيت الله الحرام وما بَعُدَ عنه من سائرِ بلاد الإِسلام.

ومهما كان منع الرِّق عظيماً وهدماً لركن من أركان الإِسلام، فما هو إلا جزاءً من الله لهم حيث أساؤوا الاستعمالَ فيه، وخرجوا به عن جادةِ الصواب، ومن لم يشكُرِ النعمَ ابتلاه اللهُ بحرمانِها وهذا أمر مُقرَّر.

أما تعددُ الزوجات، فهو أيضاً غيرُ حادثٍ مع الإِسلام، وإنما هو عادةٌ قديمة عند العرب وسائرِ الشعوب الهمجيّةِ، ما زال يعمل به إلى الآن في القارة الإِفريقية التي لا تَدين بدين، ممّا اضطرّ السلطة الدينية البابوية أن تسمحَ بتعددِها في المملكة الأوغاندية تسهيلاً للتبشير المسيحي، حيث لم يمكن استئصالُ هذه العادة منهم. علم الأوغنديون خرافاتِ ما هم عليه من العقيدة فهرعوا للدخول بالإِسلام، فأحلّت لهم النصرانية التعددَ تآلفاً لهم وتسهيلاً لمهمة التبشير المسيحي فيهم، ولم تكن النساءُ عند العرب والأمم القديمة بالمنزل المحترم، أو المساوي للرجال على الأقل، بل كانوا يعدونَهُنَّ آلاتِ شهوةٍ وطربٍ ثم يلحقونَ بهنَّ أعظم الأذيّات والإِهانات من أكل أموالِ اليتيماتِ، ووأد البنات، ولم تكن بقيةُ الشعوبِ أرقى من أمة العرب في هذه الخرافات، بل كانت أحطَّ أخلاقاً وأسوأَ حالاً وأعظمَ ظُلماً، ذلك أنّ قوانينَهم لم تكن مستمدةً من شريعة سماوية أو تعاليمَ دينية، إنما كانت وثنيةً تابعة لأهوائهم الكيفية.

قال فائز الخوري في كتابه (الحقوق الرومانية) الذي كان يُدرِّس في الجامعة السورية في معهد الحقوق ما نصُّه[1]: وقد كان الأبُ صاحب السلطان المطلق على أولاده ومن في بيته وتحت قدرته، وقد نقل المؤرخ فلوطرخوس أن بروتوس حكمَ على أولاده بالموتِ من دون أن يراعي أصولَ المحاكمات، ولم يحكم بذلكَ بصفته قُنصلاً بل بصفته أباً لهم، وللأب أن يبيعَ أولاده كما يبيعُ أرقاءَه، وذلك وفقاً لصراحة قانون الاثني عشر لوحاً، كما أنه كان يبدِّل صفتَهم الحقوقية بإخراجهم من أسرته وإدخالهم إلى أسرة جديدة بطريقة التبني اهـ.

(١) الحقوق الرومانية صفحة (١٤٠).

فانظر كيف أن قانون الاثني عشر لوحاً يبيح للرجلِ هذه السلطةَ مع سلطة الاسترقاق أيضاً.

وقال فائز بك قبل ذلك أيضاً عن ميزات القدرة الأبوية[١]: فالدولةُ تقف عند باب البيت ولا تدخله، ولذلك ظلت برهةً طويلة بعيدةً عن التدخل في شؤون هذه القدرةِ حتى جاء قانون الاثني عشر لوحاً وقرر أَنَّ الابن الذي يُباعُ ثلاث مراتٍ متواليات يخرج من قدرة أبيه ويصبح مستقلاً.

ثم ذكر في بحث الزواج[٢] أنه على قسمين: بمانوس وبدون مانوس[٣]، فإذا انعقد بمانوس تترك المرأة أسرة أبيها وتلحَقُ بأسرة زوجها فيستولي على جميع أموالها ويصبحُ له عليها نوعٌ من القدرة الأبوية كأنها ابنتُه أو زوجتُه انتهى.

فأنت ترى أن هذه القوانين الكيفية إنما وُضعت لأهواءٍ استبداديةٍ شيطانية، لو أمعنَ العاقلُ فيها النظرَ لما وجد لها مبرراً وحكمةً معقولة، بل هي تابعة لرأي من ينسَخُها أو يقرُّها أو يزيدها أو يُنقصها ولئن كان العربُ يئدون بناتِهم فإنما هو خوفُ العار وليس عاماً في جميعهم، وليس هو دِين أو قانونٌ عندهم، كالرومان الذين كانوا يبيعون أولادهم، ويقتلونهم ويقتلون زوجاتِهم بحقِّ القانون والتشريع؛ والذي ألجأَ العربَ لذلك هو حربُ البسوس الذي دام مئةَ سنة، ويُضْرَبُ به المثلُ لكثرة السَّبي الذي كان يحصل بينهم ومَا آل إليه حالُهم من الخرابِ والفقر؛ ولم يكن الوأدُ عاماً فيهم إنما كان في كِندة فقط، بل كان فيهم أيضاً من يفدي الموءودة ويخلِّصُها من الوأد. قال في شرح القاموس[٤]:

وكانت كندة تئدُ البنات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]، قال المفسرون: كان الرجلُ في الجاهلية إذا وُلدت له بنت دفنها حين تضَعُها

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٣٨.

(٢) المصدر السابق صفحة ١٥٤.

(٣) المانوس: دخول المرأة تحت سيطرة زوجها وعائلته.

(٤) تاج العروس مادة (وأد).

والدتُها حيةً مخافةَ العار والحاجةِ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ﴾ [الإسراء: ٣١].

وقال الفرزدق يمدح جدَّه صعصعةَ بن ناجية:

وعمـي الـذي مَنَـعَ الـوائـداتِ ... وأحيـا الـوئيـدَ فلـم يُـوأَدِ

قال الألوسي في كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب»[1] في بحث غَيرةِ العرب وحميَّتِهم: وقد وصل العرب إلى الغَيرة إلى أن جاوزوا الحدَّ، حتى كانوا يئدون البناتِ مخافةَ لحوق العار بهم من أجلهنَّ، وأولُ قبيلةٍ وأدتْ من العرب ربيعة.

ثم قال في كلامه على ما كان قبل الإِسلام من عوائدِ الجاهليةِ فأبطَلَهُ الإِسلامُ ما نَصُّه: ذكر الهيثم بن عدي على ما حكاهُ عنه الميداني أنَّ الوأد كان مستعمَلاً في قبائلِ العرب قاطبةً، فكان يستعمله واحدٌ ويتركه عشرةٌ، فجاء الإِسلام وقد قلَّ ذلك فيها إلا من بني تميم، فإنهم تزايدَ فيهم ذلك قبل الإِسلام، وكانت مذاهبُ العرب مختلفةً في الوأد وقتل الأولاد، فمنهم من كان يئدُ البناتِ لمزيد الغَيرة ومخافةِ لحوق العار بهم من أجلهنَّ، وهم بنو تميم وكندة وقبائلُ آخرون، قال الميداني: وكان السببُ في ذلك أنَّ بني تميم منعوا الملكَ ضريبةَ الإِتاوة التي كانت عليهم، فجرَّد إليم النعمانُ أخاه الرّيان مع دوسرٍ - ودوسر إحدى كتائبه - وكان أكثرُ رجالها من بكر بن وائل، فاستاق نعمهم وسبى ذراريهم، ووفدت وفودُ بني تميم على النُّعمان بن المنذر، وكلَّموه في الذراري، فحكم النُّعمان بأن يُجعل الخِيَارُ في ذلك إلى النساء، فأيَّةُ امرأةٍ اختارت زوجَها رُدَّتْ عليه، فاختلفنَ في الخيَار، وكَانت فيهم بنتٌ لقيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها، فنذر قيس بن عاصم أن يدسَّ كلَّ بنتٍ تولد له في التراب، فوأد بضع عشر بنتاً، وبصنيع قيس بن عاصم وإحيائه هذه السنة نزل القرآن في ذم وأد البنات.

وروي أنَّ أولَ قبيلة وأدت من العرب ربيعةُ، وذلك أَنهم أُغير عليهم، فنُهبت بنتٌ لأميرٍ لهم فاستردَّها بعد الصلح، فخيِّرت بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها فغضبَ، وسنَّ لقومه الوأد.

---

(١) بلوغ الأرب ٣/ ٤٢.

ففعلوه غيرةً منهم ومخافةَ أن يقع لهم بعدُ مثلُ ما وقع، وشاع في العرب غيرتهم، والله تعالى أعلم بصحّة ذلك وغالب قبائل العرب كان غرضهم من الوأد ما ذكر.

ولأذكرُ شيئاً مما ذكره المؤرخون فيمن منعَ الوأدَ من العرب كصعصعة بن ناجية المجاشعي رضي الله عنه الصحابي الجليل جدّ الفرزدق، وله أقاصيصُ في إحياء الموءودة حتى جاء الإسلام فحرَّمها ومنعها وعدَّها من أعظمِ الكبائر والعياذ بالله.

وقد رُوي أنّه أحيا مئة موءودة إلاّ أربعاً، وقيل أحيا ثلاثمئة وستين موءودة يشتري كلَّ واحدةٍ منهن بناقتين عُشرَاوين وجملٍ، وقيل أربعمئة وئيدة. وأخباره في كتاب «الأغاني»[1] بترجمة حفيده الفرزدق من الأعاجيب في كرمه وإسلامه وتشرّفه بالقدوم مع وفدٍ من تميم على السيد الأعظم ﷺ وقد قال للنّبي ﷺ: أَوصني، فقال: «أُوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وإمائك» قال: زدني. قال: «احفظْ ما بين لَحْيَيْكَ وما بين رجليك» ثم قال له ﷺ: «ما شيءٌ بلغني عنك فعلتَه؟» قال: يا رسولَ الله، رأيتُ الناس يموجون على غير وجه لم أدر أين الوجه، غير أنّي علمت أنهم ليسوا عليه، ورأيتهم يئدون بناتهم، فعلمتُ أنَّ ربَّهم لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم يئدون، وفديت من قدرتُ عليه.

وروى أبو عبيدة أنّه قال للنّبي ﷺ: إني حملتُ حَمالات في الجاهلية والإسلام، وعليَّ منها ألفُ بعيرٍ فأدَّيتُ من ذلك سبعمئة فقال «إنَّ الإسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر» فقال: حسبي حسبي، ووفّى بها، ورُوي أنَّه إنّما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، وقد وفدَ إليه في خلافته. وكان صعصعةُ شاعراً وهو الذي يقول:

إذا المرءُ عادى من يَودُّك صدرُه ... وكان لمن عاداكَ خِدْناً مُصافيا

فلا تسألَنْ عمّا لديه فإنّه ... هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

---

(١) الأغاني ٢١/٢٧٦ وما بعدها.

وأخبارُ الفرزدق وأشعاره وافتخاره بأبيه غالب وجدِّه صعصعة بن ناجية وما كانا عليه من الكرم أكثرُ من أن تذكر ولصعصعةَ رضي الله عنه ترجمةٌ في «الإصابة»[1] وما رُوي عنه من الأحاديث، وذكر ابنُ حجر قصته في إحياء الموءودة وقال: يُقال إنَّه أولُ من فعل ذلك، قلتُ: وقد ثبت أَنَّ زيدَ بنَ عمرو ابن نفيل كان يفعل ذلك، فيحتمل أَولية صنعصعة على خصوص تميم ونحوهم، وأولية زيد على خصوص قريش اهـ.

ثم إنّي أفردت بحث الرقيق بهذه الرسالة وسميتها «القول الوثيق فيما يتعلّق بالرقيق» وألحقتُ بها مباحثَ متممّة لها، واعتقادي بولدي القلبي وحبيبي النسبي محمد عزيز أبي الفتح فتح الله عليه وعلى أخته فتوح العارفين أن ينشر مطويات آبائه وأجداده ومخبَّآت آثارهم وأَنْ يسيرَ بسيرهم لينالَ من بركاتهم وخيرهم جعله الله هادياً مَهديا وراضياً مرضيا[2].

وإنّي إذْ أقولُ ذلك لكبر سني، ووهن قوّتي، وقلّة المادة، وضعف أملي بمساعدة الأجل أَنْ أنشرَ ذلك، بل إنّي أسألُ الله أن يوفِّقني لتهذيبها وتهيئتها لتكونَ صالحةً للنشر وعلى الله التُّكلان، وإليه المرجع والمآب.

وقد ميزتُ بين مباحثِ هذه الرسالة بفصولٍ متمايزة ليسهلَ على مُرتادها العثورُ على كلِّ مبحثٍ بفصله الخاص فأقول:

فصلٌ في حكمة الرقِّ وضرورتِه التي توهمناها أساساً لشرعيته الظاهرة

اعلم أنَّ الرّقّ كان ثابتاً وموجوداً لدى الأمم السابقة، والأجيال الماضية من متديّنةٍ ووثنية، ولكن الأمم الماضية كانت تتعدّى فيه الحدودَ، وتخرج به عن

---

(١) الإصابة ٣/ ٢٤٥ (٤٠٦٣).

(٢) كذا أراد الشيخ رحمه الله، وأراد الله أن يحظى بهذا الشرف حفيده ابن عزيز المهندس يسار.

جادة الصواب المنشود، وتتغالى بظلم الرَّقيق خلافاً للشرائع السماوية التي كانت تُبيحه على أعدل طريق بما يكون فيه الخيرُ والصلاح للمجتمع البشري الإِنساني.

وإنّي أَسردُ الحِكَمَ الظاهرة بما نعرفُ عنه في شريعتنا، لأنَّ شروطَه وأركانه وحقيقته في الأديان السابقة لا دليلَ قطعي على ما كانوا عليه، وإنّنا لا نبني كلامنا على أوهامِ المُؤرخين وأقاصيصهم التي لا ثقة بها، إنَّما الشريعة الإِسلامية أحكامها معروفةٌ متواترة مدونة لم يعترها أيُّ تبديلٍ من عصر مُبتدئها ﷺ حتى يومنا هذا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وسنذكرُ بفصلٍ خاص ما كانت عليه الأمم غير المتديّنة من استعبادٍ للبشر كما هي عليه الآن الأمم التي تدَّعي المدنية. والفرق بينها وبين أمة العرب والإِسلام.

الحكمة الأولى:

لقد اقتضت إرادةُ الله في البشر بجعله درجاتٍ، وأن يكونَ خادماً ومخدوماً، ورئيساً ومرؤوساً، ولو كان البشرُ كلُّه بدرجةٍ واحدة لاختلَّ الأمرُ، وفسد النظام، ولو تُرك الأمر للبشر بأن يجعلوا هذا رئيساً وهذا مرؤوساً بقوانينهم البشرية لفسد الأمرُ، وخرج عن حيِّز الاعتدال، كيف وقد سُئل بُزُرْجُمِهر الحكيم: كيف اضطربتْ أمورُ آل ساسان وفيهم مِثلك؟ فقال: استعانوا بأصاغرِ العمال على أكابر الأعمال فآل أمرهم إلى ما آل.

لذلك ربطه سبحانه بقيود وشروطٍ متى استجمعت في شخص ما صدق عليه وصف الرِّق على حسب درجاته وأنواعه التي ستقرؤها، وعليه فالرِّقُ من ضروريات الطبقات البشرية التي قال الله فيها: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] وهذه الدرجات لا يمكن لعاقلٍ أن يُنكرَ ضرورة وجودها بين البشر حتى لا يكون الناس كلُّهم بسورة واحدة كما قدمنا.

وكم رأينا أمةً رقت في عصرِ المدنية عصر القرن العشرين استعبدت غيرها، وهي التي منعت الرِّقَّ بدعواها الفارغة.

الحكمة الثانية:

تعميم مبادىء الأقوام المستولية والمسترِقَّةِ لغيرها، ونشر لغتها وأخلاقها وعاداتها بين الأُمم المُستَرقَّة والمغلوبة لتكونَ قدوةً لغيرها. فإنَّ الرقَّ، وإنْ كان عبارةً عن عبودية الرقيق لسيده؛ لكن الشريعة الإِسلامية أصابت هدفاً آخرَ بما ندبتْ إليه من تحرير الرقيق بكلِّ حركةٍ أو سكونٍ كأنَّها لم تُبق رقيقاً لطالب الأجر والزُّلفى عند الله سبحانه. كما سنقف عليه في فصله الخاص.

وعليه فإنَّ الرقيقَ بعد أن يعتاد عوائدَ المسلمين، ويتخلَّق بأخلاقهم، ويتعلَّمَ لغتهم غالباً، وضبط الأحوال التي يراها بتلك المدرسة الأخلاقية يؤثِّرُ فيه ما رأى من المحاسن التي لم تكن توجد إلاّ عند الملائكة فلا شكَّ أنَّه يكونُ داعيةَ خيرٍ لهؤلاء القوم الذين هذَّبوه، وأحسنوا صحبته، وعلم بمجالسهم ما لم يكن يعلم.

على أنَّ من كان يرى محاسن الدين الإِسلامي وما عليه من المبادئ الصالحة، وما فُطر عليه المسلمون الأقدمون من أصولِ دينهم القويم التي منها إسداءُ كلِّ خيرٍ لمن استرقُّوه كما ستعرفه مفصلاً، فلا شكَّ أنه يُؤْثِرُ العيشَ والعبوديةَ لهم على الحريةِ التي كان فيها كما حصل مع سيدنا زيدِ بن حارثة رضي الله عنه فإنه كان يتمتَّعُ بحقوق سيده الذي استرقَّهُ.

الحكمة الثالثة:

هي زيادةُ رقيِّ العلم، والتوغُّل فيه ونشره ونشر الضائع، ونقل رقيِّ سائر الأقوام إلى أُمة العرب، فقد كانت العلوم في السابق لا تُنال إلاّ بالأسفار الطويلة، وأن تُضرب أكبادُ الإِبل أياماً وشهوراً، ولم يكن إلا النزر اليسير الذي يسمح لولده أن يرحل لتلقي العلوم؛ لعسرة المواصلات وتنائي البلدان، وكثرة

الأخطار في الطُّرقات إلى الهند والصين والمغرب وأقاصي الدنيا. لكن كانوا جميعاً يسمحون لأرقائهم اجتياز هذه المفاوز، واقتحام مشاقها، ويصبرون على بعدهم وفراقهم، لذا كنتَ ترى العربَ بعد الفتح الإِسلامي سواء في الدولة الأموية الشامية أو الأندلسية أو الدولة العباسية البغدادية أو الفاطميين بالغرب تزدهر بلادهم في الاختراع، ويأتون بعجائب الإِبداع، وسبقوا الأمم في اختراعاتهم، وبديع صناعاتهم وعلوِّ حضارتهم ومدنيتهم، وفاقوا الدنيا علماً ومدنيةً وبرّزوا في كلِّ علمٍ من العلومْ على تعدّد فروعها، إذ كان الرجل يُرسل غلمانه كلَّ واحدٍ لجهةٍ يقتبسُ ما تصبو إليه نفسه من كلِّ فنٍّ عجيب، وبعد عودته يتركه سيدُهُ حرَّ العمل، طليق اليد يشتغلُ بما يتخصَّصُ فيه، ويضع عليه خراجاً مقطوعاً يؤديه إلى سيده كلَّ يوم حسبما يطيقه مما يتفقان عليه من مكاسبه. فكان منهم الطبيب والكيماوي والحجام والمهندس والكحال والغازي والقائد والمخترع وكلُّ إنسان يريدُ مملوكَه أن يفوق على مملوك غيره. بل كلُّ مملوكٍ يريد أن يتخصَّصَ بما لا يدركه غيره. وهكذا حصل التنافسُ بُرهةً من الزمن لهؤلاء الفاتحين بواسطة أرقائهم الذين لم تؤثر فيهم رحمةُ الشوق على عدم مفارقة مماليكهم، ولو كانوا أولادَهم لما سمحوا لهم بارتكاب هذه المشاق ولبقوا على جهالتهم يتخبّطون إلى الأبد.

وكلما رأى السيدُ تفوق عبد غيره يجتهدُ في أن يجعلَ عبدَه أرقى وأعلم من عبد غيره طمعاً في زيادةِ خَراجه المرتَّب عليه ثم بعد أن تعممت العلوم، وتفشَّت بصورة شاملة عمّتْ طبقات الأسياد والمترفّهين والمتنعِّمين حتى أصبحَ السيدُ حريصاً على مساواة عبده على الأقل، فانظر يا رعاك الله إلى هذه الحكِمة غير المقصودة التي تمكَّنَ بفضلها الإِسلام والعرب أن يكونوا أرقى الأمم، وأسعدها من سابقةٍ ولاحقةٍ بصورةٍ تجعلهم يجمعون علومَ جميع الأقطار ويفوقون عليها مما لم يكن لأحدٍ من سائرِ أهل السابقين الذين أساؤوا استعمال الرقيق، وجعلوه بمنزلةِ الحيوان والسِّلعِ، وسيرد عليك أسماءُ العلماء والنابغين ممن مسَّهم الرقُّ من عهد الصحابة فمن بعدهم، حتى تعلم أَنَّ الموالي هم أصحابُ الفضائل الإِسلامية على البشر أجمع، وما آل إليه أمرُ الرقيق في آخر

العصور حتى حرم الله نعمته أهلَ اليسار، وما جحدت أمةٌ نعمة إلاّ سلبها الله منها.

الحكمة الرابعة:

سرعة النجدة لملاقاة الأعداء، ولا شكَّ أنَّ المسلمين كانوا يملكون من الأرقاء عدداً عظيماً وفيراً قد يكون عددَ الأحرار أو أكثر، بحيث لا يخلو بيت من رقيق أو رقيقين أو خمسة أو مئةٍ وهلمّ جرّا، لكلٍّ منهم عملٌ يقوم به يستثمرهم المولى ويعد ذلك ثروة له.

وكان إذا داهم القومَ حربٌ أو غارة مفاجئة كان كلُّ مولى يُرسل من عنده من العبيد لنجدة الجيش، فكان بأقلَ من يومٍ يجتمع مع الأمير من العدد ما لا يُستهان به، وليس لأحدٍ منهم عائق يعوقه عما يندبه إليه سيده، بل يكون مؤاخذاً عند الله وعند السلطة الحاكمة.

وكم سمعنا في التواريخ من الجيوش ما هو مؤلف من السُّقَّاط والعبيد شأن جيوش هذا الزمان المأجورة والتي يسمونها المتطوعة، فإنها عادةً من أمثال هذه الطبقة، وهكذا كان يوجد عند الأقوام المسترقة من أرقائهم قوة دائمة يمكن الاستفادة منها بأقل من الوقت القليل.

الحكمة الخامسة:

ما يقرب من هذه أيضاً، وهي أنَّ الحروبَ تنوّعت أسبابها وتغيّرت عن شكلها الديني الذي كان الإنسان يُفْني نفسه وماله وولده ليغنم أجرَ الجهاد، وذلك بما تحولت إليه من العصبيات الإقليمية والقومية والحزبية، بحيث صار القصدُ الأصلي من الجهاد عند المسلمين كأنّه نسياً منسياً، وصار كل من يقدر على التخلّص من الجندية لا يألو جهداً في ذلك، ولو كان الرقيقُ موجوداً كما كان لما حصل هذا التقاعس مما اضطر الحكومات أن تجعله إجبارياً بحيث من تخلّف عنه تنزل به العقوبة الصارمة المعروفة.

وكم روى التاريخ ورأينا حروباً ضاعت بها أرواحٌ ونفوس، وهتكت بها

أعراض، وتلفت بها أموال في سبيل تثبيت أميرٍ أو عقوبة وزيرٍ أو شيءٍ تافه لم يأت بفائدة تستحق المفاداة، بل يكون وبال الحرب ونتيجته أسوأ من عدم الدخول فيه، وهذا ما نشاهده كلَّ يوم خاصة في حروب الغربيين الذين لا يجنون منه إلاّ الخرابَ والوبال والدمار في سبيل استيلائهم على الأمم الضعيفة، ثم يجرون الويلَ إلى تلك الأمم الصغيرة التي لا تجني من الانحياز لإحدى الفئتين إلاّ ما ذكر من الخراب والدمار.

دع عنك ما يشاهده أربابُ الدين من تضييع الصلاة، وفطر رمضان، وشرب الخمر والزنا، وأنواع الفحش مما يجعلُ أربابَ الدين بدلَ أن يرغبوا في مساعدة الحرب القائمة تراهم يكرهون ذلك أشدَّ الكره وينفرون أشدَّ النفور، ويفدون أولادهم بما عزَّ وهان في سبيل تخليصهم من هذا البلاء الذي هو كالموت لا يفرُّ منه أحد.

ولو كان الرقيق مباحاً لما وصلت أزمة الحكومات في سبيل الجندية إلى ما وصلته في آخر أيام الترك، فكم رأينا من سنة ١٩١٢ حتى سنة ١٩١٩ من أرواحٍ أُزهقت صلباً وقتلاً لفرارهم من الجندية، وكان الجندي يفضلُ الموتَ صلباً على ما يراه من إهانة وجوعٍ وتشريد وتضييع لأولاده وعِرضه.

ثم أعقبه حربُ الملك فيصل مع الإِفرنسيين الغاصبين، وحقيقته أنَّ الإِفرنسيين أرادوا امتلاك بلادنا السورية، واستعبادنا وتداولوا الشروطَ والاتفاقيات مع الملك فيصل فتفاقم الأمرُ بينهم، واستعدَّ الفريقان للحرب، ثم اتفقوا وأرسل الملك جواباً لوزير الإِفرنسيين بقبول الشروط، وحينما أرسلَ الجواب أعطى الأمرَ وزيرُ الحرب السوري لجنوده بالانسحاب فانسحب بعضهم من مواقعه، وانقطع الإِمدادُ عمّن بقي في ساحةِ الحرب، فاغتنم الإِفرنسيون هذه الفرصة وكرّوا على الجيوش السورية التي وقع فيها الاختباط والاختلال، وكان يوماً مشهوداً.

ولما استفسر الملك عن هذا الأمر ادّعى الإِفرنسيون كذباً أنّه لم يصلهم الجواب، فكانت الخطيئة بسرعة إعطاء الأمر للجنود أن يتراجعوا، ويتركوا

وكان أهلُ الشام يومئذ في ساحةِ الحرب موقنين بالانتصار، غيرَ عالمين بما دبّرته لهم الأقدار، وبما تسرّع وزير الحرب عند الملك. وكم ذهب ضحية هذه الحرب من الأعراب المشتركين في ساحة القتال ومن الجُند الذين لم يساعدهم الوقت على الانسحاب والفرار بسبب قطع المدد عنهم، ولقد أفادني رئيس المدفعية آنئذ أحمد صدقي الكيلاني أنّه لو تواصل المدد له بالذخيرة لما تمكّن العدو أن يخطوَ خطوة واحدة. ولكان النصر مُحققاً، ولما تجرّأ عل الهجوم، ولكنه رآها فرصةً سانحة من فرص الدهر حتى ملكَ البلادَ وأذل العباد. وكانت النتيجة أنَّ وزيرَ الحرب صار يتعرّض لمواقع الخطر والقتال بقصدِ الانتحار جزاءً لخطيئته وتسرّعه بهذا الأمر حتى أتته رصاصة عابرة (طائشة) أودت بحياته ودُفن في موضع إصابته بميسلون. وأما الملكُ ففرَّ من الشام فراراً أبدياً، وذهب الملكُ وضاع الأمر وبقي الإفرنسيون ربعَ قرنٍ في بلادنا من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٤٥ أذاقونا بها مُرَّ العذاب حتى أَذِنَ الله بذهابهم عنّا، ونوالنا الاستقلال التام الناجزَ الذي لا تشوبه شائبة الأجنبي، أدامه الله علينا، وألهم أمراءَنا العدلَ بتوفيقه وكرمه.

فكل ما رأيناه ونراه من الأخطاء التي سببها توسُّدُ الأمر إلى غير أهله يجعل كل إنسانٍ يتظاهر بمساعدةِ الجيش ولكنه يودُّ التخلُّصَ منه بنفسه. ويودُّ وقايةِ روحه بماله وبكلِّ نفيسٍ.

مع أنّه من المُسلَّم أنَّ الأمة التي لا جيشَ لها هي أحقر الأمم وأضعفها، ولو كان الرقيق فاشياً لما تسرّبت فكرةُ التخلص لذهن أحدٍ، ولكان الجيش مؤلفاً من أناس تدفعهم الأمة بسائق اختيارها، وتحثُّهم على الجرأة والمفاداة. بينما نرى الآن كل امرىءٍ يود السِّلم ويدمى قلبه إذا سمع بريح الحرب، وقايةً لولده أو نفسه أن يذهب ضحيةَ خيانةِ أميرٍ، أو جهالة وزير. وإني أتحاشى عن ذكر الأسماء لأن ذكر الاسم لا يفيد إلا قضاء وطر الغل الذي في قلب المؤرخ من هؤلاء الرجال، مع أنَّ هذه الأسماء سوف لا يعرفها أحد، ولا يُجتنى من ذكرها أمرٌ يُذكر وقد صاروا إلى الله مولاهم الحقُّ وهو العليم الخبير.

الحكمة السادسة:

هي تسنُّم المولى الرقيقُ أعلى درجات الدنيا من العزِّ والجاه والمَكانة، ليتَّضح لذي عينين أنَّ من جدَّ وجد ومن كسل فقد.

نقل في «روح البيان»[1] قصة الزهري مع عبد الملك بن مروان في تفسير سورة الأنفال [١١] تحت قوله تعالى: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ قال: قال الزهري: قدمتُ على عبد الملك بن مروان، قال: من أين قدمتَ يا زُهري؟ قلت: من مكة. قال: فمن خلّفْتَ فيها يسود أهلها؟ قال قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: بم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية. قال: إنَّ أهلَ الديانة والرواية ينبغي أَن يَسودوا الناس. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فبمَ سادهم؟ قلت: بما سادَ به عطاء. قال: من كان كذلك ينبغي أن يسود الناس. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال كما قال في الأوّلين، ثم قال: فمن يسودُ أهل الشام؟ قلت: مكحول الدمشقي. قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي عبدٌ نوبيٌّ أعتقته امرأةٌ من هُذيل. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل حرمنا؟ قلت الضحاك بن مُزاحم، فقال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. فقال كما قال، ثم قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن بن أبي الحسن قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: ويلك فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري، فرَّجتَ عنّي، واللهِ ليسودنَّ الموالي على الأكابر حتى يخطب لها على المنابر، وإنَّ العرب تحتها قال:

---

(١) روح البيان ٢/ ٤١٥.

قلت: يا أمير المؤمنين، إنّما هو أمرُ الله ودينه، فمن حفظَهُ سادَ، ومن ضيّعه سقط اهـ.

وقد ذكرت هذه القصة في غير ما كتاب.

منها ما في كتاب ترجمة الإمام أبي حنيفة الذي لم أعلمْ مؤلفَه، لكنّه يدلُ على علمه وفضله بما ضمَّنَه الكثيرَ من العلوم، فقد ذكر في الباب الأول في ذكر ولادة أبي حنيفة ونسبه، قال: أنبأنا الأميرُ العادل أبو الحسن بن علي بن الحسن العمادي إجازةً وأبو الحسن علي بن محمد بن علي في كتابه قال: أخبرنا الحاكم الإمام أبو سعد الحسن بن محمد الجشمي، أنبأنا الشيخ أبو حامد أحمد ابن محمد البخاري قال: أملى علينا أبو نصر الحسن بن أبي مروان، حدّثنا أبو تراب أحمد بن سهل الطوسي، حدثنا أبانُ بن عبد الله بن قُثم بن أبي قتادة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال: دخلت على هشام بن عبد الملك بالرُّصافة فقال: يا عطاء، هل لك علمٌ بعلماء الأمصار؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: فمن فقيه أهل المدينة؟ قلت: نافع مولى ابن عمر قال: مولى أم عربي؟ قلت: مولى. فقال: من فقيه أهل مكة؟ قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى. قال: فمن فقيه أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى. قال: فمن فقيه أهل اليمامة؟ قلت: يحيى بن أبي كثير. قال مولى أم عربي؟ قلت: لا، بل مولى. قال: فمن فقيه أهل الشام؟ قلت: مكحول قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى، قال: فمن فقيه أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قلت: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى، قال: فمن فقيه أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مُزاحم؟ قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل مولى، قال: فمن فقيه أهل البصرة؟ قلت: الحسن، وابن سيرين قال: موليان أم عربيان؟ قلت: لا بل موليان، قال: فمن فقيه أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: مولى أم عربي؟ قلت: لا بل عربي، قال هشام: لولا قولك عربي لكادت نفسي تخرج اهـ.

وذكر هذه القصة ابن الصلاح في مقدمته[1] في النوع الرابع والستين في معرفة الموالي من الرواة والعلماء وأنها بين الزهري وعبد الملك بن مروان بنحو ما نقلتها عن «حياة الحيوان» إلا أن في «المقدمة» قال عن الضحاك بن مزاحم: فمن يسود أهل خراسان؟ لا أهل حرمنا. والصواب ما في «المقدمة» ولعلها في «حياة الحيوان» تصحيف من الرواة أو من الطابع.

وقال ابن الصلاح في نهاية القصة: وفيما نرويه عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: لما مات العبادلة صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي إلاّ المدينة، فإنَّ الله خصَّها بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة سعيد بن المسيب غير مدافع، قلت: وفي هذا بعض الميل فقد كان حينئذ من العرب غير ابن المسيب، فقهاء أئمة مشاهير منهم الشعبي، والنخعي، وجميع الفقهاء السبعة الذين منهم: ابن المسيب عربٌ إلاّ سليمان بن يسار والله أعلم.

الحكمة السابعة:

تكثير سواد المسلمين بالتناسل والتوالد كما هو ملاحظ في حكمة تعدد الزوجات، ذلك أنَّ العرب الفاتحين بانتشار عدلهم بين الأنام بفضل الإسلام الذي اعتنقوه كان يُباح لهم امتلاك الأرقاء بلا عددٍ محدود؛ فكان يكونُ لكلِّ مسلمٍ من المرقوقات اللواتي وصلن إليه بشتى الأسباب من إرثٍ أو هبةٍ أو شراء أو أسِيرات ما يحصل منهن جيشٌ بالتوالد ويكفي للفئة المؤلفة من عشرة آلاف أن تحلَّ محلَّ أهل أي بلد بزمن قليل بكثرة التناسل والتوالد من الزوجات والرقيقات، وهذا ما كان السبب في انتشار جنس العرب في الدنيا وفي كل مكان بصورةٍ مدنية ودّية بينما غير الإسلام من الأديان يحرمُ كثرة اقتناء النساء فتراهم بنقصانٍ بدل الزيادة. وكم رأينا من الأمم الظالمة التي استولت على بلادنا السورية من هذه النتيجة ما أظهرت حكمةَ دينِ الإسلام، فقد استولى علينا الإفرنسيون فكان يقلُّ عددُهم بتوالي السنين بدلَ أن يزيد، لأنهم يحرمون

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ٤١٦.

تعددَ الزوجات، ويحرِّمون الاسترقاق، فكان يوجد منهم من يهجر زوجته، ومن تكون زوجته أو هو عقيماً فإذا أتوا عشرة يرجعون خمسة، والدين الإسلامي منعَ إعطاء نسائه لغيرهم، فترى الأجنبي يأتي لبلادنا حاكماً بعددٍ وفيرٍ فيعود ناقصاً.

بينما المسلمون كانوا بتعدد الزوجات، وفُشوِّ الرقيق، وإباحة تزوجهم من غيرهم بهذه الأسباب الثلاثة كانوا إذا استولوا على صقعٍ أو أُمة يحلُّون محلَّ أهلها بأقل زمن، ويفشو نسلُهم ودينُهم ولغتهم وعوائدهم بألطفِ سببٍ وأسهله بدون مدفعٍ ولا بندقية ولا طيارة ولا ظلمٍ ولا إرهاق، وهذا ما نقصده ونفصِّله بالحكمة الثامنة.

الحكمة الثامنة:

هي تعميم اللغة والعوائد وهذا ملزوم لكلِّ ما تقدَّمَ من تطبُّعِ العبد بأخلاق سيده، فكثرةُ العبيد والإماء وأسباب تحررهم المتعددة، تجعل منهم أمةً عظيمةً متحدةً بأخلاقها، بعوائدها، بلغتها، فكأَنَّ الرِّقَّ أصبحَ مدرسةً يدرسُ بها الرقيقُ أحوالَ سيده من صغره، ثم يتطبَّعُ بها ولا يبقى عند السيد إلاّ من يريد البقاء منهم بكثرةِ أسبابِ التحرير الطوعية والجبرية، وهذا بعض ما ذكرناه في الحكمة الثانية.

الحكمة التاسعة:

إغناء المعوزين الفقراء من الأسياد بنقل كثيرٍ من ثروات المشترين إليهم، لأنَّ الإماء لا يجوز لهنَّ الاحتجاب كالحرائرِ، بل هنَّ أشبه بالرِّجالِ من حيث الظهور والاختلاط، وقول عمر رضي الله عنه معروف مشهور لمّا تنقبت أَمَةٌ حيث قال لها: ألقي القناع يا لكاع، أتتشبهين بالحرائر؟.

وقد ذكر ابن عابدين في «حاشية «الدرّ»» كتاب الحظر والإباحة قال: وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى جارية متنقبةً علاها بالدِّرة وقال: ألقي عنك الخمار يا دفار، أتتشبهين بالحرائر؟ ودفار بالدال المهملة كفعال مبني على الكسر من

الدفر وهو النتن اهـ.

وكثيراً ما كان أحدُ الفقراء مالكاً لأمةٍ جميلة يبيعُها لأحدِ الأغنياء فيبذل لسيدها في ثمنها ما يجعله غنياً، وكثيرٌ منهن من تكون أديبة لبيبة تصلح لخدمة الملوك ومنادمتهم، فيرغبون فيها ويغنون سيدَها بفاحش الثمن، وكثير منهن من تُحسنُ الغناء والطرب فيسلين أسيادَهن بما يذهبُ همومَهم، وتحظى عنده فوق الزوجة ويقصصن على أسيادِهن ما صادفنه في تنقلات المُلّاك.

فالمملوكةُ تُباري المرأةَ الغربية التي يُضربُ بحنكتها المثلُ في سياحاتها وإباحة تجوّلها في كلِّ قطرٍ ونادٍ، بل لا مناسبة بينهما إذ المملوكةُ أسيرةُ العفاف لسيدها لا يتجرَّأ على مساسها بسوءٍ، فهي كلّ يومٍ بمكان، وكلَّ يومٍ ببلدة، وكلَّ يوم بقطرٍ مع رجلٍ يحميها، ويغارُ عليها غيرةَ الأزواج أو أشدَّ، مع كونها مباحة الاختلاط، في حين أنَّ المرأة الغربية أميرةُ نفسها وهواها وحدِّث عن ميول النساء والرجال باختلاطهن بدون رادع ولا مؤدب ولا وازع، وكم من بونٍ بين الحالين وفرقٍ بين المسلكين، والله مالك الجميع.

الحكمة العاشرة:

نقل التربية والتهذيب إلى الحرائر بوساطتهن، لأنَّ الشرعَ الإسلامي حظَّرَ على الحرائر الاختلاط صوناً لعفاف النساء الأصيلات ذوات الأرحام الطاهرة أن يتدنس بدنس الشبه والأغيار، أو يميل قلبُها لغير زوجها، أو يميل غيره لها بتأثير النظر الذي هو سهم من سهام إبليس مسموم، ولكنَّ ضرورةَ تعليمهن وتهذيبهن واتّعاظهن بمواعظ الدهر ومعرفتهن معترك الحياة، جعل الله الرقيقات مباحات الاختلاط حتى لا تكون الشريعة الإسلامية وراء حجاب النساء الذي ألقينه في هذه الأيام بستار مشاركتهنَّ للرجال.

وهذا أمرٌ محتم بطبيعة التعايش، فحيث منعن المنعَ البات وخلا العالم من الرقيقات، برزت الحرائر بدلهن، ووصل الحال بهن إلى أسوأ ما كان عليه الرقيقات، وقد كانت مزية الحرة لا توازيها مزية، لأنها جُعلت ليختارها الأب مزرعة صالحة لنجابة أولاده، وهذا من حقوق الابن على أبيه أن يختار له

أشرف الأرض لبذره، وقد حدث أن عيّرَ أبٌ ابنه بأنه ابنُ أمةٍ، فقال الابن: هي أشرف منك لأنها أحسنت الاختيار وأنت أسأت الاختيار.

الحكمة الحادية عشرة:

هي مشاركة المرأة للرجل في سائر أعماله لعدم ما يمنع ذلك من الحجاب الذي خلعته نساءُ هذا الزمن، حتى تقومَ بسائر ما يقوم به الرجل من الأعمال الخفيفة البدائية كالطبابة والقبالة والتعليم، إذا تعلمنَ فيُعلمنَهُ للحرائر، وهذا سرٌ عظيم قد يدرأ شُبَهاً كثيرةً عن الرجل، إذا اضطر لتكشف ذوي الاختصاص من العلماء على النساء لأنَّ تكشُّفَ الجنسِ على الجنسِ أسهلُ من غيره، حتى كان العربُ حرصاً على هذا الأمر يقتنون طبيبات من النساء، كما قال الشاعر:

أيقتلنـي ريـبُ المنـون ولـم أَزُرْ ... طبيبَ بني أَوْدٍ على النأي زينبا

الحكمة الثانية عشرة:

زيادة الرغبة بالحرائر، لأن كلَّ ممنوعٍ مرغوب، وكثيرٌ من الرجال من لا يحب اختلاط المرأة بالرجل، فأمامه الحرائر الطاهرات المحجوبات المصونات عن كل ما يورث الشبهة والريب، لذا كان فراشُ الأمة أضعفَ فراشٍ، ويحقُّ للرجل أن ينفيَ نسبةَ ولدها منه ولا يلتحق به ما لم يستلحقه هو، ويقرَّ بأنَّه ابنُه.

وهذا من خصائص الدين الإسلامي أن نوَّعَ بين النساء حسب ميول الرجال في اختيارهم الممنوع أو المبذول، وقد سمعنا عن ثقاتٍ بل رأينا في هذا الزمن الفاسد من يرغب أن تخرج امرأتُه مُتهتّكةً خالعةَ نقابِ الحشمة، مبدية ساقها وفخذها كأنّها عروس ليلةٍ، يمشي وإيّاها جنباً لجنب، لا يردعه دينٌ ولا يصدُّه حياء، حتى فاقت نساء الإسلام نساءَ الغرب في التهتُّكِ المُشين بستار الرقيِّ والعلم، ويتمسك بعضهُنَّ بظاهرِ مذاهب الإسلام التي تُبيح كشفَ الوجه وما دروا أنّه إنّما أُبيح عند أَمْنِ الفتنةِ، وأيُّ فتنةٍ أعظمُ مما نشاهد، وما دروا أنه إنما أُبيح بصورةٍ ساذجةٍ لا تستلفت الأنظارَ، ولا تُغضب الجبار كأهل البدو

والقرى لا كتهتك الأمصار، ورضي الله عن أم المؤمنين الطاهرة بنت الصديق حيث روى البخاريُّ عنها في «صحيحه»: لو رأى رسولُ الله ﷺ ما أَحدثَ النساء لمنعهنَّ المسجدَ كما مُنِعَه نساء بني إسرائيل[1].

وإنما أُبيح كشفُ الوجه بشرط عدم التطيّب والتزيّن ولو كان أبو حنيفة والأئمة أحياءً لجاهروا بالمنع، وأقاموا عليه كلَّ نكير، ولكن ما العمل وجناحُ الإِسلام كسير وعدوه منه وفيه؟ فأيُّ سهمٍ يتقيه؟، فأنصف أيها القارىء ولا تغالط فسنقدم وإيَّاك على عالم الخفيات الذي أكمل هذا الدين على أتم الحالات، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] والله أعلم.

وقد ذكر في «التنوير» وشرحه بباب شروط الصلاة قال: وتُمنعُ المرأةُ الشَّابةُ من كشفِ الوجه بين رجالٍ لا لأنَّه عورةٌ بل لخوف الفتنة.

سبب الرِّقِّ:

والدين الإِسلامي لم يأتِ لإِبادةِ الأقوام وقيامه مقامها، وقتلها ظلماً وتشريداً، كما فعلت أوربة بوحوشها الضارية حينما صدرتهم لمقاطعة أمريكة، وكما هاجر من ضاق عليه العيش في أوربة لمزاحمةِ أهل أمريكة الأصليين، وإبادتهم، ثم استعبادِ من لم يقتلوهم، وتبديل دينهم، وكما هو الحال حتى اليوم في أمريكة الجنوبية، وفي جنوب إفريقية من إبادة أهلها بحجَّة اللون الأسود فقط، وإن حوَّلوهم لدين النصرانية بالتبشير، فإنَّ الدين عند الغربيين ما هو إلاّ أداةَ ارتباط بينهم فقط لا أداة إصلاح ومدنية، ولو كان عندهم أداةَ إصلاحٍ ومدنية لما بقوا إلى عصر القرن العشرين إلى سنة ١٩٦٧ يقتلون برودسيا

---

(١) رواه البخاري في صفة الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس، ومسلم (٤٤٥) في الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد. والموطأ ١/١٩٨ في القبلة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد، وأبو داوود (٥٦٩) في الصلاة، باب التشديد في خروج النساء إلى المساجد.

وأمريكة الجنوبية ذوي اللون الأسود من البشر المتدينين بدينهم، ليحلوا محلهم، أو يجعلوهم عبيداً وخولاً لهم وحيواناتٍ يذبحونها ويأكلون لحومها كأشرسِ أنواعِ الوحوش الضارية، بما لم يُسمع بمثله في عصورِ التاريخ الدنيوية.

فأصل الرقيق عند المسلمين هو مُهاجمة الأمم الظالمة كي تكفَّ عن ظلمها، وتتبع العدل الصحيح فإذا اتّبعتْه فُرضت عليها فرائض معقولة، وأدامت حمايتها من كلِّ عدوان.

ومن لم يرضَ بهذه المبادىء قتلوه إراحةً للبشر من شرِّه، أو أخذوه أسيراً حتى يعلّموه الأخلاق والأحكام، ثم صرفوه بأنواعِ التحرير إلى إعمار الدنيا كغيره، هذا أصل أسبابِ الرقِّ عند المسلمين لا سببَ غيره أصلاً.

ولا فضل عند المسلمين لحرٍّ على رقيق أو عكسه إلاّ بتقوى الله تعالى، وهكذا ترى جرائد العالم ومجلاّتها، وكتّابها وأدبائها طفحوا من التنديد بأعمال أممِ الاستعمار بما يُعاملون به البشر من قساوةٍ ووحشيةٍ، ثم يؤسِّسون جمعيات الرِفق بالحيوان، وهم أقسى وأوحشُ من الحيوانات الكاسرة الضارية على بني جنسهم:

كم معشرٍ سلموا لم يُؤذهم سَبُعٌ وما نرى أحدا لم يؤذِهِ بَشَرُ

حتى إنَّ المجوس الذين يعبدون النار ويعبدون البقرَ وهم أحطُّ عقلاً وإدراكاً من معبوديهم ينددون بوحشية الأمريكان الذين يعدُّون أنفسَهم أَرقى الأمم، وهم المُسيطرون الآن على الكرة الأرضية.

أمريكة ومشكلة الزنوج

نقلت جريدة «الثورة» التي تصدر بدمشق بعددها ٧٠٤ والمؤرخ ٨ جُمادى الأولى سنة ١٣٨٥ و٣ أيلول سنة ١٩٦٥ نقلاً عن صحيفة سانتوري الهندية قالت: تحدثت صحيفة سانتوري الهندية عن مشكلة الزنوج في الولايات المتحدة فقالت: يستحيلُ أن يُقَدَّرَ مدى الأذى الذي أصاب سمعة الولايات المتحدة في العالم وخصوصاً في بلدان آسية وإفريقية وأمريكة اللاتينية من جراء أعمال القمع الجماعي التي وقعت ضد الزنوج في بلدة لوس أنجلوس مرة أخرى، على أن الولايات المتحدة عاجزة عن حلِّ مشكلة الزنوج.

إنَّ الاضطهاد الذي يُعانيه الزُّنوجُ في الولايات المتحدة من قبل الاحتكاراتِ، والتمييز العنصري قد أثارَ ويُثير دائماً الاستنكارَ والاستياءَ في جميع أنحاء العالم. واختتمت الصحيفة الهندية أقوالها عن مشكلة الزنوج فقالت: إن باستطاعةِ حكومة الولايات المتحدة إصدارَ القوانين بشأن حقوق الزنوج، ولكنَّها لم تستطع أن توفّرَ للزنوج الأمرَ الجوهري ألا وهو العمل، وشروط الحياة الكريمة التي بدونها تبقى أرقى القوانين حبراً على ورق.

فانظر يا رعاك الله ما يقوله عبّادُ النار والبقر وإن كانوا هم يعاملون المسلمين الذين في كشمير أشدَّ من معاملة الأمريكان للسود، فتلك مسألةٌ دينية وسياسية، لكنَّ معاملة الأمريكان معاملة فرق اللون فقط، لماذا هؤلاء لونهم أسود ؟ يجب إبادتهم. أباد الله الظالمين ونصر اللهُ الباكستان في حربهم لعُبّاد النيران الذي ابتدأ في أيلول سنة ١٩٦٥ وفي جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥.

وكم تروي الصحف والمجلات عن أنواع التعذيب والإبادة للسود حتى الآن في إحدى مقاطعات أمريكة وهي جمهورياتها الجنوبية من ولاية ميرلاند حتى خليج المكسيك، وتُعرف بمنطقة الجنوب الأقصى، وتشتمل على ولايات كارولينا الجنوبية، وجورجيا، وآلاباما، ومسيسبي، ولويزيانا وفلوريدا، وكذا

في رودسية في جنوب إفريقية، وإنَّ فشو تجارة الرقيق بها لذوي اللون الأسود واضطهادهم لا يصدّقه عاقلٌ دون المشاهدة، ولكن تواتر الأخبار عن المشاهدين، وروايات الصحف اليومية والشهرية عن الفظائع والاضهاد، وسوء المعاملة والإِهمال، ونقل المشاهدين ثم الكتب المؤلفة في أقاصيص اضطهادهم، ثم قوانينهم المسنونة العلنية والمنشورة رسمياً والمعمول بها، كلُّ ذلك يفوق المشاهدة والمعاينة. ومن الكتب المؤلفة في ذلك والذي رأينا فيه عجائب المشاهدة للكاتب هو كتاب «أميركة كما رأيتها» المطبوع ببغداد بمطبعة السكك الحديدية سنة ١٩٥١لمؤلفه أمين المُمَيّز في بحثه بعنوان بيضٌ وسود[١].

ولا يفهمون معنى الرقيق والعبودية إلاّ لمن كان أسودَ اللون، فهم يقتلونه قتل الحشرات المؤذية والحيوانات الضَّارة الكاسرة، مع أنَّ السود هم أهل البلاد الأصليون، وسرت بهم الجمعيات التبشيرية المؤذية حتى جعلتهم كلَّهم بدينٍ واحد ولغةٍ واحدة، ولكن لماذا خلقهم الله سوداً؟ فهم والحيوانات الضارة المؤذية سواء يجب قتلهم واستئصالهم ومَحقهم واسترذالهم وتعذيبهم بدون رأفة ولا رحمة ولا شفقة مما أثار الولايات المتحدة الشمالية حتى شنَّتْ حرباً شعواء داخلية على مواطنيهم الجنوبيين لإِرجاعهم عن ظلمهم إخوانهم بالإِنسانية، حتى قال أحدُ زعماء الولايات المتحدة الشمالية أبراهام لنكولن:

فكما أربأ بنفسي أن أكون عبداً لأحدٍ، فإنّي أربأ بنفسي عن أن أكونَ سيداً على أحدٍ، إنَّ هذا هو مفهومي للديمقراطية.

ثم صار بعدُ رئيساً للجمهورية، وتاريخ حياته من أعجبِ التواريخ، كما ذكره المؤلف لكتاب «أمريكة» ستيفن فنسنت بَنَيه وترجمه إلى العربية عبد العزيز عبد المجيد ونشره مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات لأول مرة سنة ١٩٤٥ بالعربية.

---

(١) أمريكا كما رأيتها: ١٨٨ و بعدها بتصرف.

وقد اتفق مؤلف هذا الكتاب فيما يتعلّق بحوادث الزنوج مع المؤلف الأول[1].

وحاصل ما أطال فيه من ترجمة أبراهام لنكولن أحد رؤساء جمهورية أمريكة: أنَّه ولد في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ في كوخٍ من جذوع الشجر، بولاية كنطكي على فراش مغطّى بجلود الدببة، وكانت أُمُّه نانسي هانكس بنتاً غيرَ شرعية، انتقل أبوه توماس لنكولن إلى أنديانا ومعه زوجته وولده أبراهام وبنته، فمهّدوا قطعة أرضٍ، وبنوا عليها كوخاً، وكانوا ينامون على فراش من أوراقِ الأشجار اليابسة، ويعيشون حفاةً معظم أيام السنة، ونشأ أبراهام يحسن استعمالَ الفأس، ويكسر الأحطاب، ولقد كانت أسرةً قوية الأجسام متينة العضلات، ولكنه كان بالإضافة إلى عمله العضلي يُكثر القراءة والمطالعة في الكتب حتى برعٍ، وتوفّيت أُمُّه وأخته، وتزوّج أبوه غيرَ أمه، التي أحسنت الحنوّ والقيام عليه كأمِّه، ولما بلغ ٢٢ سنة من عمره صار مُحامياً في مدينة من أعمال إلينوى، وكانت بنظره مدينةً كبيرة سكانها نحو ١٥٠٠ نفس، وقد انتخب عضواً في الكونجرس، وفي عام ١٨٥٨ كان مرشحاً لعضوية مجلس الشيوخ ضد دوجلاس، وخسر العضوية أمام منافسه ولكن كلمات لنكولن تغلغلت في قلوب الناس:

لست أسأل للزنجي سوى أمرٍ واحد هو: إذا كنت لا تحبّه فدعه وشأنه، وإذا كان الله لم يعطه إلا قليلاً فدعه يتمتع بهذا القليل.

ولا زال يعظمُ اسمُه في وطنه حتى صار رئيس حكومتهم وسنُّه ٥١ سنة.

أما الولايات المتحدة الأميركية الشمالية التي بدأ المستوطنون الأمريكيون إقامتهم بها كما في كتاب ستيفن فهي فرجينيا سنة ١٦٠٧، ونيويورك سنة ١٦١٤، وماساتشومتس سنة ١٦٢٠، ونيوهامشر سنة ١٦٢٣ وميريلند سنة ١٦٣٤ وكنيتيكت سنة ١٦٣٥، ورودآيلند سنة ١٦٣٦ ودلوير سنة ١٦٣٨

---

(١) أمريكا: ١١٤.

ونورث كارولينا سنة ١٦٥٠، ونيوجرزي سنة ١٦٦٤، وساوث كارولينا سنة ١٦٧٠، وبنسلفينية سنة ١٦٨٣، وجورجية سنة ١٧٣٣.

ومذ اكتشفت تلك القطعة من الدنيا التي كانت مجهولةً لغير أهلها، أخذ الأوربيون يهاجرون إليها زَرافاتٍ ووحدانا بدوافعَ مُختلفةٍ؛ فبعضهم يريد أرضاً خالية ليخلو بنفسه للعبادة، وبعضهم لارتياد الرزق، يحملهم على ذلك الفقرُ والعوز، وبعضهم ليعيش حرًّا من قيود القوانين التي تسنُّها البلاد المتمدنة. وبعضهم لجناياتٍ ارتكبها بوطنه فِراراً من الجزاء، إلى أن صارت آهلةً بالسكان، وهؤلاء من دولٍ وأصقاعَ شتى، ولكنْ مهما كان باعثُ هجرتهم لم يفلتوا من نير استعمارِ الدول التي هاجروا منها كإسبانية وفرنسة وإنكلترة؛ بل كانت تلك الدول تتحارب معْ بعضها أيضاً لتأخذ قسماً أوفرَ، وأرضاً أخصبَ، مستعمرةً أكبر من هذه الممتلكات الجديدة، ولكن بدأ غليان المهاجرين المستوطنين لجمع كلمتهم للتخلص من كلِّ مستعمرٍ من الدول، واشتعلت بينهم وبين بلدانهم التي هاجروا منها حروبٌ طاحنة كانت نتيجتها التخلّص منهم، واستقلالهم واتحادهم في نوى الجمهوريات المذكورة، ولا زالوا يؤسسون جمهوريات جديدة، وينضمون ويفترقون وتحصل بينهم حروب أهلية أيضاً لاختلافهم في سياساتهم لا سيما مسألة الرقيق التي يحرمها الشماليون ويتمسّك بها الجنوبيون لإبادة السكان الأصليين واستذلالهم واستعبادهم وتعذيبهم، ومهما وصل الطرفان من التعقل والعلم والذكاء فإن اللون الأسود كان الحافز لسحقهم من قبل البيض كأنهم جراثيم إنتانية.

وأعظم حربٍ أهلية كانت من أجل ذلك إبّان جمهورية أبراهام لنكولن سنة ١٨٦١ بين الذين يستعبدون والذين يحرمونه، وإليك أسماء كلّ فريقٍ منهم من كتاب استيفن فالذين لا يرونه هم: مين، ونيوهامشر، وماساتشومتس، ورودآيلند، وكينيكت، ونيوجرزي، ودلوير، وميريلند، وفرمنت، ونيويورك، وبنسلفينيا، ومشجن، وسكنسن، وأوهايو، وإنديانا، وإلينوى، وآيوا، ومنيسوتا.

وأمّا الجمهوريات التي ترى الاستعباد والإبادة فهي: فرجينية وكنطكي،

ومزوري، ونورث كارولينا، وتنيسي، وأركنصا، وساوث كارولينا، وجورجيا، وفلوريدا، وآلاباما، ومسيسبي، ولوزيانا، وتكساس.

وأخيراً انتصر الأحراريون على الجنوبيين وصار للسود كلمةٌ مسموعةٌ، ثم لا زال الجنوبيون يسنون قوانين خاصةً خلافاً لقوانين الاتحاد حتى عاد استرقاق اللون الأسود أبشعَ ما كان عليه قبل الحرب، ولا زال حتى الآن أعني سنة ١٩٦٤ فانظر يا رعاك الله إلى العقل البشري الذي لا يدين بدينٍ كيف يحلل مرّةً، ويحرّم أخرى بدون قاعدة ولا وازع.

لست أعني عدم الدين بالكلية، بل هم متسترون بالنصرانية وليس فيها أحكامٌ فيما يتعلّق بالرقيق.

وانظر ما نقلته جريدة الأهرام المصرية بعددها ٢٩٤٥٦ الصادر في ربيع الثاني سنة١٣٨٧ وفي ٤ أكتوبر سنة ١٩٦٧ بعنوان: ثورة الزنوج تحوّل مدينة (ميلووكي) الأمريكية إلى مدينة أشباح. نائب جونسون يعترف بالظلم الواقع على الزنوج منذ (١٠٠) سنة.

ميلووكي ـ وكالات الأنباء ـ عاد الزنوج فشدّدوا ثورتهم في مدينة ميلووكي في ولاية ويسكونسن وهي الحادية عشرة في ترتيب المدن الأمريكية من حيث تعداد السكان، واضطرت السلطات إلى إعادة حظر التجول فيها من الغروب إلى الفجر بعد اشتداد الاضطرابات وتردد طلقات النار من الأسلحة الصغيرة ورشاشات البوليس، وتعرضت قيادة البوليس نفسها لهجوم القناصة.

وقد ضربت قوات المليشيا والبوليس نطاقاً حديدياً حول منطقة كبيرة تضم نحو ٨٤٠ مبنى سكنياً، وأطلق البوليس النارَ على ثلاثةٍ من الزنوج ألقوا قنابل حارقة على أحد المباني، فقُتل واحدٌ وأصيب الآخران... إلى آخر ما ذكرت من الفظائع هي وغيرُها من صحف العالم التي لا يمكن أن تستقصى.

فانظر يا رعاك الله، ما عليه هؤلاء المتمدنون الذين يتغنّون بالمدنية الكاذبة والرفق بالحيوان، وانظر ما عليه الدين الإِسلامي الحنيف من الاعتدال في الاسترقاق حتى إنَّ الرّق عند المسلمين له مُبررات وأسبابٌ للتحرير أكثر من أن

تُحصى، حتى رُوي أنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه أعتق رقبةً لتأخيره صلاة المغربِ عن وقتها المُستحب فقط.

وبعد، فلا بأس من تلخيص حال الاتحاد الأمريكي وذلك أنّه منذ بدأت هجرة الأوربيين إليها أخذوا يتوسّعون في أراضيها على حسابِ من أسموهم الهنود الحمر، ويحاربونهم ويغصبونها منهم؛ لأنّها خاليةٌ من كل مدنيّةٍ وعمار، فأهل الشمال يثقفونهم، ويعدّون المثقفين منهم مواطنين مثلَهم، وأهلُ الجنوب يستعبدونهم ويبيدونهم، وبعد أن أسسوا جمهوريات وصار لهم قوةٌ حرّروا أنفسهم من نير الدول التي هاجروا منها والتي استعمرتهم، ثم التفتوا لداخلهم فمرّة يزداد اتحادهم بأن ينضم إلى الاتحاد جمهوريات أُخر، ومرّة تنفصم عنهم وتحصل بينهم حروبٌ داخلية لم تنته حتى الآن، والسبب الظاهر فيما بين الشمال والجنوب هو استرقاق إخوانهم في الإِنسانية وإبادتهم.

وإني لأعجبُ كلَّ العجب مما وصف به ستيفن فنسنت خُلُقَ الأمريكيين الشماليين من حبِّهم الحرية المطلقة لكلِّ الشعوب، ثم ميلهم لمساعدة الناس على اختلافِ أديانهم ومشاربهم وأجناسهم وبقاعهم، ثم تحيّزهم لليهود الذين أسكنوهم في أرضِ العرب وجمعوهم فيها من نواحٍ شتى، كانوا مستقرين بها، وشتتوا المواطنين عن أوطانهم، وأجلوهم عنها كما فعلوا هم بسكان أمريكة الأصليين حيث أجلوهم عنها واستوطنوها.

وكأنهم قاسوا العرب أهل فلسطين بالهنود الحمر الذين أجلوهم عن أراضيهم وقتلوهم، واحتلوا بلادهم حتى لم يبق منهم إلا القليل اعتبروهم مواطنين، وأسسوا جمهورياتهم بأرضهم بالشمال، وأما في الجنوب فلا يزال الاستئصال الجارف آخذاً حكمه، ولم يدركوا الفرق والبون الشاسع بين القطرين، فأمريكة أوّلاً كانت قطعة مجهولة للعالم، وفلسطين أشهر من أن تُعرف وهي منبع الأنبياء، ومهدالرسل وأهل العلم والحكمة والأولياء.

ثانياً: إن أمريكة أهلها الأصليون متوحشون لا قانون ولا وازع لهم ولا رادع ولا عمران ولا مدنية، إلى أن جاءتهم جيوشُ المبشرين على جهلهم

وانقطاعهم، فجذبتهم لدينها. ثالثاً: أنَّ أرضهم خصبة شاسعة واسعة تستدعي من يعمرها ويستثمرها، وفلسطين عامرة غاصّة بسكانها تابعة لسنن الرُّقي، محافظةٌ على جنسيتها وعروبتها، متطلّعةٌ لمستقبل باسمٍ. فإجلاء أهلها وتعذيبهم وقتلهم وتشريدهم، وسبي أموالهم وأعراضهم، وهتك حرمة دينهم، وأخذ أموالهم من قبل أضعفِ وأخبث البشر وهم اليهود بمساعدة وتقوية وإعانة من يتظاهر بمساندة الضعيف، ومن يزعم المدنيَّةَ هو أمرٌ لا ينساه تاريخ البشرية مهما طال الزمن، ويستدعي الغيرة الإِلهية أن تحلَّ بكلِّ مستعمرٍ ومُعينٍ للظالم على المظلوم.

وبمناسبة ذكر مجاهل أمريكة أذكر ما رأيته في «روزنامة» القنواتي المؤرخة في يوم الجمعة ١٠ صفر سنة ١٣٥٠ و٢٦ حزيران يونيو سنة ١٩٣١ بسلسلة متتابعة إلى يوم السبت ١٨ صفر و٤ تموز قال: قبائل عربية تقطن فيافي البرازيل. عن «النداء الأغر»: جاء في مجلة «الشرق» البرازيلية أنَّ العلامة البرازيلي المشهور الدكتور برنوذينوماد ويراد بينيو ناظر الحقّانية بولايةٍ باهيا بالبرازيل وضع تقريراً رفعه إلى حكومة سان باولو (البرازيل) وأرفق به نماذجَ من الأسلحةِ التي يستخدمها الهنود البرازيليون في مجاهل تلك الولاية وقد استولى عليها الجنود في باهيا إثر غارتين على الزنوج بعدما أحيوا حفلاتٍ ممنوعة.

وهذا التقرير يشير إلى وجود مسلمين برازيليين يقطنون المجاهل من زمن بعيد، ويعرفون باسم الوفائيين، أو قبيلة الوفاء وعددهم كبير؛ لأنهم يزيدون على نصف الزنوج الموجودين في تلك المقاطعة، وقد وصفهم واضع التقرير في تقريره بقوله: هم حنطيو اللون أقوياء الأجسام، صادقو المعاملة، يعلّمون أولادهم بعد الختان تلاوة القرآن وهي مسألة رئيسية عندهم، ويُصلّون بعد أن يغتسلوا بالماء، وهم يكتفون بغسل أرجلهم إلى نصف أجسامهم (ولعله يريد الوضوء) وطريقة صلاتهم إسلامية بحتة - أي إنهم يحنون أجسامهم إلى الأرض ويرفعون أيديهم إلى رؤوسهم - وأوقات الصلاة عندهم قبل شروق الشمس إذ يلبسون قمصاناً ويتعمَّمون بالعمائم البيضاء على رؤوسهم، وعند بعدهم عن

منازلهم يبدِّلون بعمائمهم البيضاء عمائم حمراء، ولحم الخنزير محرّم عندهم، وهم يصومون ثلاثين يوماً في العام بلا انقطاع، يتناولون الطعام قبل الفجر وعند غروب الشمس، يكتبون الآيات القرآنية على ألواح من خشب، ويصنعون الحبر من الأرز المحروق، وفي أرضهم دوائر حقوقية مستقلة عن الدوائر الدينية ويدعون الكاهن عندهم (لادا) والاسقف (لامامى) والقاضي (القاضي). والذين يقومون بالشعائر الدينية (سقاتي وشياخي).

ويقول جناب الناظر البرازيلي: إنَّ هؤلاء المسلمين دخلوا إلى البرازيل من أجيال طويلة، قادمين من إفريقية، ومن الغريب أنَّ معظم الباحثين والمحققين ذهبوا إلى وجود قبائل إسلامية في وسطِ جنوب البرازيل في ولاية باهيا وتقول مجلة «الشرق»: ولعمر الحقِّ، إنَّ في التاريخ البرازيلي أسراراً غامضة، إذا توصل العلماء الباحثون إلى كشف معمَّياتها ظهرتْ حقائقُ مدهشة قد تقلب تاريخ العالم، فإذا صحت هذه الأخبار يكون المسلمون قد اكتشفوا أمريكة وقطنوها قبل غيرهم بأزمان، ولكنَّ صلتهم انقطعت بالشرق لذلك لم يتوصَّل علماء التاريخ إلى معرفة هذه الحقائق، على أنَّ الأخبار نقلت إلينا من عهد قريب خبرَ اكتشافِ آثارِ مصرية قديمةٍ في تلك الأقطار النائية، فأصبح من اللازم الآن أن يتولّى علماءُ الآثار والتاريخ عبء هذا الأمر، وأن يعنوا بإرسال بعثةٍ دولية إلى البرازيل ولا سيما ولاية باهيا وغيرها من الأمكنة التي ترى وجوب البحث فيها لمعرفة من تكن تلك القبائل الزنجية المسلمة وغير المسلمة اهـ.

أسباب الرق:

وبعد أن قدّمنا هذه اللمحة العارضة بين بحثنا نعود إلى أمر الرقِّ في الإِسلام وبيان أسبابه فنقول:

اعلم أن الإِسلام دينٌ سماوي كافلٌ لسعادةِ البشر على اختلاف أديانهم وأجناسهم وأصقاعهم، لا إكراه لأحدٍ باعتناقه، بدليل كلام ربِّهم الذي ليس فوقه دليل ولا كلام، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وفي الأحاديث الصحيحة «لهم ما لَنَا وعليهم ما علينا، والخمرُ لهم كالخلِّ لنا

والخنزير لهم كالشّاة لنا، وأُمرنا بتركهم وما يدينون، وطعامهم حلٌّ لنا، وطعامنا حلٌّ لهم».

إنما يجب على المسلمين تعميم قوانينهم المدنية على سائر البشر، حتى لا يكون البشر هو المقنِّن والمشرِّع كما كان عليه قبل الإِسلام، فمن قَبِلَ بذلك سَلِمَ وأدّى الجزية، وتركوه حرًّا في بلاده في دينه حرًّا في ماله، حرًّا في أهله وعائلته، يدفع الحاكم عنه كلَّ من يريد ظلمه وأذيّته أو استعماره، هذا هو مبدأُ الدين الإِسلامي، فمن لم يقبل بهذا المبدأ العظيم فهم مأمورون بقتاله إلى أن يرضخَ لذلك، ومن لم يرضخ، وقاتلهم فالرأي فيه للإِمام إن شاء أخذَهُم وأخذ أموالهم وأرضهم فامتلكها، واسترقَّ جميعَ من وجدهم من بني آدم خشيةَ من شوكتهم وعصيانهم، وهذا هو سبب الرقِّ الأوّلي، ولا يُكرههم على الإِسلام أصلاً وإن شاء تركهم وأموالهم ولم يتعرَّض لشيءٍ منهم كما فعل النبي ﷺ في فتح مكة حيث لم يتعرَّض لأحدٍ منهم لأنهم مستسلمون مستأمنون ومستأخيون، فهذا هو سببُ الرّقِّ في الإِسلام، وهو خوف التمرّد والعصيان من أهل الشرِّ والطغيان، وخوفُ الانقباض.

وكم من حروبٍ ظفر بها رسولُ الله ﷺ وسباهم بها، ثم منَّ عليهم إذ أَمِنَ منهم وأطلقهم كقومِ جُويرية زوجته رضي الله عنها حين عزم أبوها الحارث بن أبي ضِرار على حرب النّبيِّ ﷺ، وكان رئيسَ قومه من بني خزاعة، فأسرعَ ﷺ لحربه، وباغته لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس من الهجرة، فقتل منهم عشرةً وأسَرَهم جميعاً، وأخذ أموالَهم ورجالهم ونساءهم، وكانت جويريةُ من جُملة السبي والأسرى، فأعتقها ﷺ وتزوَّجها، فلما علم بذلك الصحابة قالوا: أصهارُ رسول الله ﷺ، فاعتقَ كلٌّ منهم ما بيده من الأسرى، ثم شفعتْ جُويرية بالباقي، فأعتقوا جميعاً، وأسلمَ أبوها، وتُسمّى هذه الغزوة غزوة المُرَيسيع وهو ماء لبني خُزاعة، وتسمى أيضاً غزوة بني المُصْطَلق، والمصطلق من الصلق وهو رفع الصوت سُمّي به جدهم جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة من بني خزاعة لأنه أَوّلُ من غنّى ورفع صوته لحسنه. ذكر ذلك في

«المواهب»[1] وشرحه للزُّرقاني.

كذلك فعل ﷺ في بني تَميم[2] لما بعث إليهم عُيينة بن حصن الفزاري سنة تسع من الهجرة، وسبب السرية أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ بشرَ بن أبي سفيان إلى بني خزاعة ليأخذ صدقات أموالِهم فمنعه بنو تميم وقالوا: لِمَ يأخذ هذا أموالَكم؟، فقال لهم الخزاعيون: هذا أمرُ دِيننا. فلم يقبل التميميّون وشهروا السيوفَ بوجه جابي رسول الله ﷺ، فهربَ منهم، وأُخبرَ بذلك النبي فأرسل إليهم عُيينة فأسرَ منهم أَحد عشر رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً، فقدم عشرةٌ من رؤساء بني تميم منهم: ربيعةُ بن رفيع، وسبرة بن عمرو، والقعقاع بن معبد، وورادن بن محرز، ومالك بن عمرو، وفِراس بن حابس، وعطارد بن حاجب ابن زرارة، والزِّبْرقان، وقيس بن عاصم، وهو الذي يَضربُ العرب المثل بحكمه والعاشر الأقرع بن حابس، فجاؤوا إلى بابِ النَّبي ﷺ، وصاروا يُنادون: يا محمد، اخرج إلينا. فخرج ﷺ إليهم وتعلَّقوا به يكلِّمونه للمنِّ عليهم، فردَّ عليهم أسراهم وسبيهم ونزلَ فيهم قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ﴾ [الحجرات: ٤-٥].

وتفسير القصة في «المواهب»[3] و«شرحها» للزرقاني وفي «الخازن»[4] في تفسير سورة الحجرات وكذلك ما فعلَ ﷺ في فتح مكَّة سنة ثمانٍ من الهجرة في رمضان وظفر بأعدائه ظفراً عظيماً، ونصره الله عليهم نصراً مؤزراً، وسألوه ما هو فاعلٌ بهم، فقال لهم: «أنتم الطلقاء» أي أنَّه ﷺ لا يسترقُّ أحداً منهم ولا يأخذُ شيئاً من أموالهم، إنَّما أَهرقَ دمَ بعضِ المفسدين منهم وقتلهم.

فهكذا كان شأنه ﷺ في استملاكِ العبيد والأسرى لا لسببِ آخر من لونٍ أو

---

(١) شرح المواهب اللدنية ٢/٩٦.
(٢) وهم بنو العنبر من تميم.
(٣) المواهب اللدنية ٣/٤٣، ٤٤.
(٤) تفسير الخازن ٦/١٨٣.

جنسٍ أو دينٍ أو عرق. ثم التَّرغيبُ في إعتاقهم مع الإِحسان في معاملتهم بدون تعذيب ولا إرهاق؛ كما بيَّنَ ذلك بفصله الخاص، والله أعلم.

وإنّ دول اتحادِ جنوب إفريقية لم نزلْ حتى الآن نسمعُ عنهم من الإِذاعات العالمية والتلفزيونات المصورة والجرائد المتداولة ما يُقاسيه بنو آدم السود ممَّن احتلَ أرضهم من شذاذ الآفاق من أهل أوربة الذين هاجروا منها لتلك البلاد وقتلوا أهلَها، واحتلوا أمكنتهم لم نزل نسمع الكثيرَ عن فظائعهم، ومع نهي الدول لهم عنها واستنكارها حتى ساعةِ كتابة هذه السطور وهو عام ١٩٦٤م و١٣٦٨ هجرية، فقد سمعتُ إذاعةَ إحدى الدول أنها تنادت لعمل حظر اقتصادي على دول اتحاد إفريقية لِإرجاعها عنْ الظلم العنصري بحيث لا يبايعونهم ولا يشارونهم ولا يسلّحونهم، وكلُّ ذلك كذبٌ بكذبٍ؛ لأنَّ هذه البلاد هي تحت انتداب الدولة البريطانية، وقد بدأت هذه المقاطعات تتخلَّصُ شيئاً فشيئاً من نير الاستعمار، فلو شاءت بريطانية وحدها أن تمنعَ هذا الظلم لاستطاعت؛ ولكنَّ الحقيقة أنَّ أهلَ أوربة يتستّرون بالنصرانية وهم بُرآءُ منها، وأين تعاليمُ السيد المسيح وحسن أخلاقه وتواضعه ومعاملته للخلق بالحسنى ؟ وهم لمَّا ضاقت عليهم سبلُ العيش في بلادهم بأوربة هاجروا لأمريكة وقتلوا أهلَها وأخذوا أمكنتهم، فكذلك فعلوا بإفريقية بالرُّغم من تنصُّر أهلِ الأمكنة التي يحتلونها بسعي الجمعيات التبشيرية، وبعد تنصيرهم وإكراههم على النصرانية كما فعلوا في إسبانية يقتلونَ الأهلَ الأصليين، ويحلُّون محلَّهم، وشواهد الحاضر على ذلك كثيرةٌ، كما فعلوا بأهل فلسطين حيث أجلوهم أيضاً عن بلادهم ووضعوا اليهود في بلادهم ودورهم، وأخذوا جوامع المسلمين وعملوها مواضع للزنا بمن سبوهن من نساء العرب والمسلمين، وأخذوا أموالَهم واحتلوا بيوتهم وأراضيهم، وهذا دأبُ أهلِ أوربة الجناة المتظاهرين بالوداعة والنَّصرانية وهم بعيدون عنها وهي بعيدةٌ عنهم، وليس عندهم منها إلاّ شارة التثليث بأيديهم على وجوههم، ثم الصليب الذي ينقشونه على منتوجاتهم، كأنَّ هاتين العلامتين هما الجامعتان لهم دون بقية أخلاق الأناجيل التي يقرؤونها، وحقّ لهم أن يقولوا: إنَّ الدين شيءٌ، والسياسة شيءٌ، لأنَّ

دينَهم الحقيقي هو بريءٌ من أعمالهم البربرية.

ولقد عثرت أثناء تحرير هذه الرِّسالة على مقالةٍ بصحيفة «الثورة» التي تصدر بدمشق بإمضاء ميشيل بوسكينة الاكسبريس في العدد الثلاثمئة الصادر بدمشق في آذار سنة ١٩٦٤، وذي الحجة سنة ١٣٨٤، قال في عنوان المقال:

ما هي أهداف مؤتمر لندن الذي منهم اقتصاديون وحقوقيون ورجال سياسة: المزارعون البيض يحدثون جروحاً في أقدام الإِفريقيين لمنعهم من الهرب، أجور العامل الإِفريقي تقل سبع عشرة مرة عن أجور العامل الأوربي.

قبل مرور خمس سنوات لن يظل في إفريقية كلِّها غيرُ بلد عنصري واحد يطبق نظام الرقِّ بصورة عملية، إنَّه اتحاد جنوب إفريقية، أما البلدان الخمسة والثلاثون التي أقسمت على القضاء على هذه الدولة حتى لو تحالفت مع الشيطان فسوف تصبح ثمانية وثلاثين.

إذْ ستنال كلٌّ من أنغولا ومزامبيق وروديسية استقلالها وتفتح أرضها، لتضيف قوة جديدة إلى الحملة الصليبية السوداء التي تكون بلاد الكاب هدفها وأرضها الموعودة.

مؤتمر البيض في لندن:

أما الأسلحة فسوف تكون صينية أو سوفياتية أو الاثنتين معاً، وإفريقية التي ستبني وحدَتها بالحديد والنار سوف تصبحُ بعد هذه الحرب العرقية بعيدةً كلَّ البعد عن التأثير الأبيض، والنفوذ الأبيض، ومما يُثبت أنَّ هذا الكلام هو أمرٌ قادم لا بُدَّ منه، وليس شيئاً نظرياً عَقْدُ مؤتمر دولي في لندن مؤخراً ضمَّ اقتصاديين وحقوقيين ورجال سياسة، وكانت مُهمةُ هذا المؤتمر دراسةَ الطريقة التي يستطيع العالم الأبيض بواسطتها أن يُسقطَ نظام الحكم في جنوب إفريقية قبل أن يفوت الأوان.

أما الطريقة المجدية والتي من شأنها أن تجعل حكومة جنوب إفريقية تطأطىء الرأس فهي الحصار البحري إذْ يجبُ أن تقومَ قوّةٌ دولية بمنع ناقلات

البترول من الرسوّ في موانىء جنوب إفريقية، وأن تمنع البواخر من أن تُفرّغ فيها، أو تحل فيها أية بضائع، وفي هذه الحال سوف يُخنقُ نظامُ الحكم في جنوب إفريقية، رغم ذهبه الذي يُشكل ٧٠٪ من الانتاج العالمي، ورغم لآلئه التي تشكل ٩٠٪ من الانتاج العالمي، ورغم معدن اليورانيوم الموجود في أرضه نصف الانتاج العالمي، ورغم الجلود والحمضيات وغيرها.

٦٨ ألف معتقل

ولكن باسم من سيتم مثل هذا الحصار إنّه سيتم باسم ٦٥ حكومة صوتت في الأمم المتحدة لقرار مقاطعة جنوب إفريقية إنه سيتم باسم عمّال المرافىء من سدني إلى كوبنهاكن وإلى غلاسغو الذين يرفضون شحن الأسلحة التي وُجْهَتُها مرافىء جنوب إفريقية، وكذلك حال المجالس البلدية في أربع عشرة مدينة بريطانية من بينها ليفربول ونيوكاستل وهول التي صوتت على مقاطعة جنوب إفريقية.

ورغم أنَّ الأنباء عن جنوب إفريقية قد باتت نادرةً إلاّ أنها لم تنعدم، فالبوليس هناك يجد ما يقوم به حيث يوجد الآن دلالةٌ على أنَّ ما يُقارب ٦٨ ألف معتقل سياسي في السجون، وفي عام واحد فقط تمَّ الحُكم على زعماء تسعة يواجهون الموت.

ويمكن لقوات الأمن أن تسجنَ أيَّ ظنين بدون إثبات لمدة تسعين يوماً وأن توقفه مجدداً لمدة تسعين يوماً آخر.

وهناك مئات من البيض والسود من قادة المؤتمر الوطني الإِفريقي ومن بينهم نلسون مانديلا وكلُّهم يواجهون عقوبة الإِعدام. ومحاكمتهم ما زالت مستمرة منذ شهور.

فالصحافة لا تتحدث عن الاعتقالات ولا عن الاضطهاد أو التعذيب، إلاّ أن الشهادات تصل مع ذلك إلى الصحف الأوربية، وتتسرب إليها بعض الرسائل التي تتحدَّث عن حقيقة الأوضاع وهذه إحداها:

سيدي، أثناء زيارةٍ قمت بها لبيت أهل زوجتي تبين لي أنَّ أحد الخدم يتوجب عليه أن يعمل مجاناً لمدة ستة أشهر لصالح أحد مزارعي المنطقة، فأهل ذلك الشاب كانوا يعملون في تلك المزرعة قبل ولادته.

واستناداً إلى قانونِ جنوب إفريقية يحقُّ لذلك المزارع أن يفرض ملكيته على الشاب لمدة ستة أشهر كلَّ عام. إنها أغرب ملكية في التاريخ!.

أسرة واحدة وعالمان:

وهذه رسالة أخرى تقول: نمتِ الوشاية بأحد الأوربيين من معارفي إلى إدارة الكاب على أن أحد أجداده غيرُ أبيض فاستُدعيت والدته وأشقاؤه الأربعة (والده متوفى) ومثلوا أمام أحد الموظفين الذي تحقَّقَ من أن لون بشرة الرجل غامقٌ أكثر من بقية أعضاء أسرته. واضطرت الوالدة لتنقذ أربعةً على الأقل من أبنائها الخمسة أن تعترفَ بأنها أنجبت ولدها هذا عن طريق غير شرعي، وأصبح الولد الخامس يعتبر خلاسياً، وسوف يضطرُ لأن يعيش بعد الآن في حيٍّ آخر، وفي عالمِ آخر وفي ظلِّ أنظمة مختلفة.

هذا ما يسمى بالتميز العنصري وتطبيقه على هذا النحو منذ خمس عشرة سنة يهدفُ إلى تقسيم جنوب إفريقية إلى أربعة عوالم، عالم الأوربيين عددهم ٣ ملايين، عالم الإِفريقيين ١١ مليوناً، عالم الخلاسيين وعالم الهنود مليونان.

ورئيس الوزراء يصرِّحُ من جهته قائلاً: على الإِفريقيين أن يتعلَّموا منذ الطفولة بأنهم ليسوا مُساوين لنا.

ثم ذكر صاحب المقال عن سويَّة التعليم إلى أن قال:

وبسبب الأمراض التي يسببها الجوع فإن ٧٥٪ من الإِفريقيين لا يحصلون على حدٍّ أدنى من الغذاء الكافي للعيش ـ فإنَّ واحداً بين كل اثنين من الإِفريقيين يموت قبل أن يبلغ سن السابعة عشرة، وهكذا فإنَّ تكاثر السكان لن يشكلَ أيَّ خطرٍ.

الأجر ثابت منذ ربع قرن

وفوق ذلك فإنَّ الطبيعة القاحلة في الأراضي المخصصة للإِفريقيين تدفعهم للبحث عن عملٍ في أراضي البيض وهم يُقبلون بصورة مؤقتة ويعملون هناك بأعدادٍ تقدر بثلاثة ملايين ونصف، وتستهلكهم مختلف الأعمال والمشاريع من مناجمَ وورشاتِ بناء وشركات نقل.

أمّا الأجر المحدد من قبل القانون فهو لم يتبدل منذ ربع قرن عام ١٩٣٩.

ثم ذكر صاحب المقال عن عيش الإِفريقي المرِّ الذي يفرضه البيض عليهم مما لا يستدعي كثرة الإنفاق إلى أن قال:

ولهذا تبدأ في فصل الربيع عندما يحتاج المزارعون إلى اليد العاملة عمليةُ ملاحقة الهاربين، ففي كلِّ عام يضعُ البوليس يده على مليون إفريقي فوق أراضي البيض، ويُلاحظ أنَّ أكثر من ثلثهم قد خالفوا النظام عندما لم يتبعوا التعليمات التي تحملها أوراقهم العديدة، لأنهم سيزودون الزراعة ببضع مئات الألوف من العمال هي بأمسِّ الحاجة إليهم خاصة وأنَّ أجرهم اليومي لا يتجاوز في هذه الحالة ٤٥ سنتيماً، أقل من أربعين قرشاً سورياً.

ويأتي المزارعون بكميوناتهم ذات الشبك الحديدي إلى السجون فيضعون أيديهم على ذلك الصيد الثمين، على تلك اليد العاملة الممتازة، ويأخذونهم إلى أرضهم فيحتجزونهم داخل زرائبَ كبيرةٍ أو يعمدون إلى جرح أقدامهم لمنعهم من الهرب.

فالتمييز العنصري ليس نظرية فقط، وإنَّما هو تطبيق ونظام قائم، ولقد أتاح التمييز العنصري إنشاء البلد الصناعي الكبير والوحيد في إفريقية، ويقول البيض هناك: إنه في اليوم الذي لن يمكن بعده إبقاء الزنجي في مكانه فسوف يتمُّ نسف ازدهار اتحاد جنوب إفريقية من أساسه، أو في صناعة المناجم على الأقل.

هذا ما لم تعمدْ جنوب إفريقية في ذلك الوقت إلى رفع أسعار الذهب

واللآلىء التي تفرض عليها ما يشبه الاحتكار، وحتى أسعار الفولاذ التي هي أقل أسعار في العالم.

ما هو الحل:

أو ما لم تعمد الأمم قبل ذلك إلى فرض الحصار البحري سوف يُفرض الحصار على باقي دول العالم أن تستغني عن الذهب واللآلىء الصناعية، وسوف تفرض على جنوب إفريقية أن تستغني عن البترول والماكينات وأكثر التجهيزات الصناعية، وسوف نرى من سيثبت لمدة أطول في هذه الأوضاع.

ميشيل بوسكينه

التعليق على هذا المقال:

لقد حذفنا منه ما يمل القارىء منه من أحوال التدريس والانتخابات الخرافية والصورية، وفي هذا المقال ترى تعدد أساليب الإِفناء والظلم لهذا الجنس من بني آدم سواء من حكومات جنوب إفريقية، أو من حكومات جنوب أمريكة.

ثم إنهم لا يقتصرون على إفناء الجنس فقط، بل على إفناء كلِّ ما يستولون عليه كما أفنوا أهل الأندلس قتلاً وتشريداً، واحتلوا مكانهم، كما أفنوا أهل أمريكة واحتلوا مكانهم، وكما يستمرُّون في جنوبها لإِفناءِ البقية الباقية، كما يفنون الآن الأهالي الأصليين في جنوب إفريقية، وترى أنَّ عالم الخلاسيين ـ وهم المتولدون خلسة بين أصلين أوربي وإفريقي ـ مع عالم الهنود لهم معاملة خاصة بينما أنهم في أمريكة الجنوبية يعدمون من تتزوج بأسود، وأيضاً ترى أنَّ الأوربيين المهاجرين عددهم لا يزيد على ثلاثة ملايين يحكمون ثلاثة عشر مليوناً من السود والخلاسيين، وترى أنهم هاجروا لأغنى بقعة في العالم ليفنوها كما أفنى الإنكليز الترانسفال حين استولى عليها بحرب المئة سنة وكما يفني الآن أهلَ اليمن بعدن وما جاورها من جنوب اليمن الذي يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة إن شاء الله.

وترى أنهم لو فُرض حصارهم الاقتصادي على جنوب إفريقية، فإنَّ الشيوعيين يمدونهم ليكسبوهم ويستميلوهم. فأين شيوعيتهم التي تُحارب الاستبداد بالفلاح والعامل والمظلوم؟ هذه نقاط يجب على التاريخ أن يسجلها على أهل هذا العصر، ليعلم الفرق بينهم وبين العرب حينما كانوا يستولون على الأمم وينشرون بينهم الرحمة والعدالة لا يفرّقون بين الأديان ولا الأجناس ولا العروق.

وإنَّ أهل هذه البلاد التي استولى عليها الأوربيون سواء في أمريكة أو إفريقية كلهم تنصَّروا بسعي البعثات والهيئات التبشيرية، ولكن الدين لا يقف عند الغربيين مانعاً من الظلم، وأين هم من حكم رسول الله ﷺ بمن كان يتبع الإسلام ديناً، فقد روى البخاري في «صحيحه»[1] قال: حدثنا محمود حدَّثنا عبد الرزَّاق أخبرنا مَعْمَر، وحدثني نُعيم أخبرنا عبد الله أخبرنا مَعْمَر عن الزهري عن سَالم عن أبيه قال: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى بني جَذِيمة، فدعاهم إلى الإسلام فلمْ يُحْسِنُوا أن يقولوا: أَسلمنا، فجعلوا يقولون صَبأنا صَبأنا، فجعل خالدٌ يقتلُ منهم ويأسِرُ، ودفع إلى كلِّ رجلٍ منّا أسيرَه، حتى إذا كان يومٌ أمرَ خالد أن يقتلَ كلُّ رجلٍ منّا أسيرَه فقلت: لا واللهِ، لا أقتلُ أسيري، ولا يقتلُ رجلٌ من أصحابي أسيرَه. حتى قدِمنا على النَّبيِّ ﷺ فذكرناه، فرفعَ النَّبيُّ ﷺ يديه فقال: «اللَّهُمَّ، إني أبرأُ إليك ممّا صنعَ خالدٌ» مرتين اهـ.

وكان ذلك في شوال سنة ثمانٍ من الهجرة، ثم بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ علياً وفداهم وقال: يا عليُّ، اخرج إلى هؤلاء القومِ، فانظر في أمرهم، واجعلْ أمرَ الجاهلية تحت قدميك.

وانظر عدل العرب والإسلام حين فتحوا بلاد سورية والشام وما ذكره المؤرخون في ذلك بإجماعهم، فإنَّه لما جمع هرقل ملكُ الروم الجموعَ للعرب وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردُّوا على أهلِ حمصَ ما كانوا

---

(١) أخرجه البخاري ٨/٥٦ (٤٣٣٩) في المغازي، باب بعث النَّبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذيمة.

أخذوا منهم من الخراجَ وقالوا: قد شُغلنا عن نصرتكم، والدفع عنكم، فأنتم على أمركم. فقال أهلُ حمصٍ: لولايتُكم وعدلُكم أحبُّ إلينا مما كنَّا فيه من الظلم والغشم، ولندفعنَّ جندَ هرقلَ عن مدينة حمصَ إلاّ أن نُغلب ونجهد، فأغلقوا الأبواب وحرسوها.

وكذلك فعل أهلُ المدن التي صولحتِ من النصارى واليهود قالوا: إنْ ظهرَ الرومُ وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنّا عليهم، وإلاّ فإنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد، فلما هُزمتِ الرُّومُ، وظهرَ المسلمون عليهم فتحوا مدنَهُم وأخرجوا المقلسين[1] فلعبوا وأدّوا الخَراج.

ولله درّ القائل:

ملكْنـا فكـانَ العفـو منَّـا سجيـةً	ولمّـا مَلكتـم سـالَ بـالـدَّمِ أبطـحُ
وحلَّلتمـوا قتـلَ الأُسـارى وطَـالما	غدونا على الأسرى نمنُّ ونصفَحُ
وحسبُكُـم هـذا التفـاوتُ بيننـا	وكـلُّ إنـاءٍ بـالـذي فيـه ينضَـحُ

وقد أكملته بقولي:

عملنـا ونحـن المسلمـون بـديننـا	وأنتـم لعيسـى أبعدُ النَّـاس أكلـحُ
زعمتم بَـأنْ كنتم نصارى ديانـةً	ولكـنْ كـذبتـم فـالـديـانـة أصلح

ومثله ما حصل مع سيدنا زيدِ بنِ حارثة رضي الله عنه حيث إنَّ أباه حين فقده قال:

بكيتُ على زيدٍ، ولم أدر ما فعلْ	أحيٌّ فيُرجى أم أتى دونه الأجلْ ؟

وحجَّ ناسٌ من كلب، فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فانطلقوا فأعلموا أباه، فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه، فدخلا على رسول الله ﷺ فقالا: يا ابن عبد المطلب. يا ابنَ سيّد قومه، أنتم أهلُ حرم الله تفكُّون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه. قال: «وما ذاك ؟» قالوا: زيد بن حارثة، فقال: «أو غيرَ ذلك، ادعوه فخيِّروه، فإن

(١) التقليس: الضرب بالدف واستقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو.

اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختارُ على من اختارني فداء» قالوا: فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: «فأنا من قد علمتَ وقد رأيتَ صُحبتي لك، فاخترني أو اخترهما» فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكانِ الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد، أتختارُ العبوديةَ على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: قد رأيتُ من هذا الرجلِ شيئاً ما أنا بالذي أختارُ عليه أحداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: «اشهدوا أنَّ زيداً ابني يَرثني وأرثُهُ» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا، وذكر ابن حجر ذلك في «الإِصابة»[1].

فانظر يا رعاك الله، كيف كانت معاملةُ الرَّسولِ الأعظم ﷺ ومن تبعه لأعبدِهم وأسراهم.

وكذلك أخرج البخاري في «صحيحه»[2] حدثني عَمرو بن محمد حدثنا هُشيم أخبرنا حُصين أخبرنا أبو ظَبْيَان قال: سمعتُ أسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما يقول: بعثَنَا رسولُ الله ﷺ إلى الحُرَقَةِ فصبَّحنا القومَ، فهزمنَاهُم، ولَحِقْتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم، فلما غَشِيْنَاهُ قال: لا إله إلا الله، فكفَّ الأنصاريُّ، فطعنْتُهُ برمحي حتى قتلتُهُ، فلمّا قدِمْنا بَلَغَ النَّبيَّ ﷺ فقال: «يا أُسامة، أَقَتَلْتَهُ بعدما قال: لا إله إلا الله؟» قلت: كان مُتعوِّذاً. فما زال يُكرِّرها حتى تمنَّيْتُ أنّي لم أكُنْ أسلمتُ قبل ذلك اليوم.

قال القسطلاني[3]: وهذه الغزوة تُعرف عند أهل المغازي بسرية غالب بن عُبد الله الليثي إلى الميفعة في رمضان سنة سبع، وهذا الحديث أخرجه المؤلف أيضاً في الديات ومسلم في الإيمان وأبو داود في الجهاد والنسائي في السير.

فانظر إلى رحمته ﷺ وشفقته بأمَّته مع أنَّ هذا الرجل المقتول كان قد فتَكَ

---

(١) الإصابة ٣/ ٢٤، ٢٥ (٢٨٨٤).
(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٥١٧ (٤٢٦٩) في المغازي، باب بعث النَّبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة.
(٣) في إرشاد الساري ٨/ ١٦٨.

بالمسلمين كما يفيده حديثُ مسلم الذي أخرجه في كتاب الإيمان[١] عن جُندب بن عبد الله البَجَلي قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ بَعْثاً من المُسلمين إلى قومٍ من المُشركين، وإنَّهم التقَوا، فكانَ رجلٌ من المُشركين إذا شاء أن يَقْصِدَ إلى رجلٍ من المُسلمين قَصَدَ له فقتَلَهُ، وإنَّ رجلاً من المُسلمين قصد غَفْلَتَهُ، قال: وكُنَّا نُحدَّثُ أنَّه أُسامة بنُ زيد فلمّا رفعَ عليه السَّيفَ قال: لا إله إلاّ الله، فقتَلَهُ، فجاء البشيرُ إلى النَّبيِّ ﷺ فسأله فأخبرَهُ، حتى أخبرَهُ خبرَ الرَّجلِ كيف صَنَعَ. فدَعاه، فسألَهُ، فقال: «لِمَ قتلتَهُ؟» قال: يا رسول الله، أَوْجَعَ في المُسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً وسمَّى له نفراً، وإنِّي حَمَلْتُ عليه فلمّا رأى السَّيفَ قال: لا إله إلا الله، قال رسولُ الله ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قال: نعم. قال: «فكيف تصنعُ بلا إله إلاّ الله إذا جاءَتْ يومَ القيامة؟» فقال: يا رسولَ الله، استغفرْ لي. قال: «كيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءَتْ يومَ القيامة؟» قال: فَجَعَلَ لا يزيده على أن يقول: «كيفَ تصنعُ بلا إله إلا الله إذا جاءَتْ يومَ القيامة».

وأعظمُ دليلٍ على أنْ لم يكن قصدُه ﷺ القتلَ ولا الإزهاق ما رواه مسلمٌ[٢] أيضاً في كتاب الإيمان قُبيل هذا الحديث عن المِقدادِ بنِ الأسود أنَّه قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ إنْ لَقِيتُ رجلاً من الكُفَّار، فَقَاتَلَني، فضربَ إحْدَى يَدَيَّ بالسَّيفِ فقطَعَها، ثم لاَذَ بشجرةٍ، فقال: أَسلمتُ لله، أَفَأَقْتُله يا رسولَ الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: «لا تَقْتُلْه» قال: فقلت: يا رسولَ الله إنَّه قد قَطَعَ يَدي ثم قال ذلك بعد أن قطعَهَا أَفَأَقْتُلُه؟ قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقتله، فإنْ قَتَلْتَهُ فإنَّهُ بمنزلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وإنَّكَ بمنزِلَتِهِ قبلَ أَنْ يقولَ كلمَتَهُ التي قالَ».

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦) في الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، وأبو داود (٢٦٤٣) في الجهاد باب على ما يقاتل المشركون.

(٢) أخرجه مسلم ١/٩٥ (٩٥).

الاضطهاد العنصري في بلدي

ولقد عثرت على كلمةٍ في مجلة «صباح الخير» العدد الثامن السنة الأولى الخميس أول آذار سنة ١٩٥٦ ونصُّه بالحرف الواحد: الاضطهاد العنصري في بلدي.

الحادثتان المثيرتان اللّتان حدثتا في أمريكة منذ أيام كان صداهما لا يزال في نفسي وأنا في طريقي لأتحدَّث إلى الدكتور (وارن براون) أستاذ علم الاجتماع الزائر بالجامعة الأميركية، وهو زنجي حضر إلى مصرَ منذ شهورٍ قليلة عن طريق مؤسسة فلبرايت.

ذهبت إليه لأتحدَّث معه حول مشكلة الاضطهاد العنصري بين البيض والسود في أمريكة، ذلك الاضطهاد الذي حملت إلينا الأنباء من أسبوعين ماضيين آخر مآسيه الدامية، مأساة الفتاة الزنجية أوثرين لوسي التي طالبَتْ بحقِّها في دخولِ الجامعة كمواطنة أمريكية فقفلَ البيضُ الباب في وجهها، ورجموها بالحجارة، وساروا في مظاهراتٍ صاخبةٍ تهدِّدُ وتوعد وتُنادي: إلى الجحيم يا اوثرين. لنحفظ ولاية الأباما للبيض، ثم لم يكتفوا بهذا بل أحرقوا صليباً خشبياً أمام منزل رئيس الجامعة مُطالبين بطرد أوثرين من كليتهم، على الرغم من أنَّ المحكمة الدستورية العليا قد قضت بدخولها الجامعة.

وحادثةٌ أخرى:

طبيبٌ زنجي أراد أن يعقدَ اجتماعاً لدراسةِ مشكلة التفرقة العنصرية، فكانَ جزاؤه سبع رصاصاتٍ أطلقها التعصُّبُ الأعمى فأردته قتيلاً.

وفي مكتبٍ يضمُ أربعةَ أشخاص في حجرةٍ ليست كبيرة وجدت الدكتور براون يطالع في كتابٍ من كتب الاجتماع.

إنسان عادي له وجهٌ يشبه كثيراً الوجوه التي تقابلها في الصَّعيد، شفاهٌ

وعندما وقف ليُصافحني وجدته ليس بالطويل ولا بالقصير، ولقد أشرقتْ على قسمات وجهه الإفريقي العريق ابتسامةٌ طيّبة كلُّها حبٌّ وإنسانية.

وبعد عملية التعارف التقليدية بدأنا نتحدّث، سألته: كيف نشأتْ مشكلة الزنوج في أمريكة؟ فرجع بكرسيّه إلى الوراء وسبحت عيناه في سقف الغرفة وبدأ يحدّثني:

بكلِّ أسف لستُ أدري ماذا تعني كلمة زنجي، لأن هذه الكلمة أطلقها شخص أراد أن يعرف شخصاً آخر دون تحقّق علمي في صحة التعريف، فقد هاجر إلى الولايات المتحدة كثيرون من أبناء الشعوب الأخرى، وَفَدوا من منطقةِ البحر الأبيض المتوسط، ومن أوربة ومن الشرق الأقصى، وبعضِ بلدان الشرق الأوسط، ولم يكن التمازج والتوافق من السُّهولةِ بمكانٍ، بل احتاج ذلك لوقتٍ طويل حتى استطاع الناس أن يتشبّعوا بالحياة الجديدة.

ولمّا كان جنوبُ الولايات المتحدة منطقةً زراعية فقد احتاجتْ إلى كثيرٍ من الأيدي العاملة، فنشطت في ذلك تجارةُ الرقيق حتى وصلت إلى قمّةِ ذروتها في الجزء الأول من القرن التاسع عشر، واستقبل الجنوب عبيداً من مُختلف مناطق إفريقية، وعندما كان هؤلاء العبيد يعملون لم يكن يُسمح لأفراد القبيلة الواحدة المُتجانسة أن تعيشَ مع بعضها، بل يفرِّقونهم، فاختلط العبيدُ من مُختلف القبائل مع بعضهم، وكانوا يتكلّمون لغاتٍ ولهجاتٍ مختلفةً، فلم يجدوا أمامهم وسيلةً للتفاهم سوى ثقافة البلد الجديد الذي أُرغموا على العيش فيه، وبدؤوا يتكلّمون لغةَ أسيادهم، ويتطبَّعون بثقافتهم وأحوالِ معيشتهم، وهم يعملون في الأرض وفي الخدمة في منازل أسيادهم.

وتأزّمتِ المشكلة الاقتصادية في الجنوب نتيجةَ الإِكثار من زراعة القطن، وعدم إراحة الأرض، فقد كانوا يزرعونها قطناً مِراراً وتِكراراً على مدار السنة، وهذا سببُ جدبِ الأرض لاستهلاكِ قوّتها في الزراعة المستمرة.

وحلّتِ الكارثةُ عندما أخذ الشمال والجنوب يتطاحنان ويتنافسان على التفوق الاقتصادي والسيطرة الاقتصادية، وعجّل هذا باندلاعِ الحرب الأهلية، وقبل عن سبب قيامِ الحرب الأهلية: إنّها لتحرير العبيد، ولكنّها في الحقيقة كانت بدافع حبِّ السيطرة الاقتصادية.

أما فكرة تحرير العبيد فقد كانت كلاماً شفوياً نطقَ به أبراهام لنكولن، ولكن لم يرسم البرنامج العملي اللازم لإِرساء هذه الفكرة على قواعد سليمة حتى تتحقّقَ.

وعدتُ أسألُ الدكتور براون:

- هل يوجد نصٌّ في الدستور الأمريكي يؤيد التفرقة العنصرية؟

أجاب الرجل باسماً: لا، لم ينصَّ الدستور الأمريكي على شيءٍ من هذا القبيل، ولهذا فإنَّ المحكمة الدستورية العليا تحكم دائماً في كلِّ القضايا التي تُعرضُ أمامها لصالح الزنوج.

- وإلى أيِّ مدىً طُبّقت أحكامُ المحكمة الدستورية العليا بعد صدورها؟

أجابني الدكتور براون وهو يهزُّ كتفيه: لقد طُبّقت أحكامُ هذه المحكمة في أغلب الولايات ما عدا خمس منها هي: جنوب كارولينة، ومسيسبي، جورجية، فلوريدا، والاباما.

وقد حاربت هذه الولاياتُ الخمس المحكمةَ الدستورية العليا وما زالت تحاربها حتى الآن.

وعدت أسأله:

- هل يوجد نصٌّ في دساتير الولايات يُساعد على التعصب والتفرقة العنصرية؟

قال: نعم، يوجد في دساتير هذه الولايات الخمس التي ذكرتها آنفاً نصوصٌ تُساعد على التفرقة العنصرية، كما يوجد مثلُها في ولاياتٍ أخرى، لكنَّ المشكلةَ الكبرى هي الاتجاه الشعبي بين البيض لتدعيم هذه التفرقة، وهذا

الاتجاه الأخيرُ أخطرُ من النصوص، وأخطرُ من القوانين.

- ألا يُلزِمُ الدستورُ الأمريكي العام هذه الولايات بالخضوع له؟

- فقال: نعم إنّه يُلزمُهُم بالخضوع للسلطة الفيدرالية؛ إلا أن هذه الولايات ترفضُ وتصرُّ على عدم الخضوع، إنَّها تُريد أن تستقلَّ بتصرفاتها الداخلية وخاصة في هذه المشكلة.

- فعدتُ أسألُ: ألا توجد عقوباتٌ معيَّنةٌ للاضطهاد العنصري؟

- قال: لا، لا يوجد أيُّ نوعٍ من العقوبات. وإننا نأملُ في أنَّ المحكمة الدستورية العليا عندما تُعرضُ عليها مثلُ هذه القضايا أن تفرض عقوباتٍ، ففي إمكانِ هذه المحكمة أن تسجن وأن تُغرِّمَ.

- وسألته: ما هي مظاهر الاضطهاد العنصري؟

- قال: إنّ هذا الاضطهاد يظهر في عدمِ المُساواة في الوظائف، فمثلاً توجد مناصبُ معينةٌ مُغلقة أمام الزنوج، وإذا حدثَ ووجدتْ فرصة فإننا نجدُ كثيراً من العراقيل قد وضعت أمامنا حتى لا يفوز بها أيُّ زنجي.

كما أن كثيراً من الفنادق والمطاعم والكازينوهات ترفض استقبال الملوّنين بين زبائنها والقانون يحميها.

- وعدت أسأله: ولكن إذا كانت هذه هي الحال في أمريكة فما هو موقف القسيسين والمبشرين من التفرقة العنصرية؟

- قال: إن التَّعصبَ العنصري يظهر بين القسيسين والمبشرين، فبعضُهم يصمتُ، وفي صمتهم علامة الرضا، والبعضُ الآخر يشجّع ويُعطي علامة الرضا بالنسبة للأشخاص الذين يقومون بأعمال العنف ضد السود.

- قلت: هل توجد منظمات بين السود أو البيض تدعو لإلغاء الاضطهاد العنصري؟

- قال: يوجد كثيرٌ من اللجان في كثير من المدن الجنوبية، وبعضُ الجماعات الخاصة التي تجاهد في سبيل حلِّ هذه المشكلة، وقد بدأت هذه

الجماعات واللجان تعمل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقد بلغَ عددُ هذه اللجان والجماعات الألفين، ولكنَّها تعمل في نطاق محلّي فقط، كما توجد اثنتا عشرة منظمة أهلية تحاول أَن تبذل جهودها لحلٍّ هذه المشكلة، أمّا جماعات البروتستانت والكاثوليك فهم وإنْ كانوا يُحاولون إلاّ أنهم لا يبذلون جهودهم كما يجب أن تكون، وكما هو في مقدورهم، وعلى العموم فالكنائسُ لا تعمل على إيجاد حلٍّ لهذه المشكلة كما كان متوقَّعاً منها.

ـ فقلت له: وما هي الفكرة التي تكمن وراء إحراق صليبٍ من الخشب أثناء المظاهرات العدائية ضد السود؟

ـ قال: هي عادة درجت عليها جمعية كوكلوكس كلان السرية لإِشاعة الذعر، إذ يحرقون صليباً من الخشب أمام ممتلكات السود كتهديد لكي يذعنوا لرغباتهم.

ـ قلت: وما هي جمعية كوكلوكس كلان؟

ـ قال: إنها جميعة سريَّة تقوم بأعمالٍ غيرِ قانونية، قد تكوّنت في عصر النهضة الواقع بين عام ١٩١٤ و١٩٣٢ وهي تريد إرجاع عهد العبودية كما كان قبل التحرير.

ـ وعدت أسأله: وما هو موقف البوليس من هذه الجمعية؟

ـ قال: أحياناً يكون البوليس مُوالياً ومُرتشياً فلا ينفذ القانون، وربَّما يرجع هذا إلى شعور محلي بين رجال البوليس بالتعصب.

واختتم الدكتور براون حديثَه معي بقوله:

إنني لا أستطيع أن أتصوَّرَ أنَّ لونَ الإِنسان يمكنُ أن يكونَ صفةً تحطُّ من قدره، فكثيرٌ من شعوبِ العالم لونها غيرُ أبيض لا يعني مطلقاً أنَّهم غيرُ أهلٍ للمُساواة.

لويس جريس

فانظر يا رعاك الله وحشية الأمم المتمدنة، يمنعون الرِّقَّ الإِسلاميّ وهم

أظلم من إبليس، ويحصرون الرقَّ والعبودية باللون في حين أن الرقَّ في الإِسلام لا علاقة له باللون، بل قد يكون الأسودُ مالكاً لأرقَّاءَ بيضٍ وهو سيدهم، وما دخل اللون بالرق، إنَّما الرقُّ له أسبابٌ أخر. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

فصل فيما كانت عليه الأمم غير المتدينة من ظلم البشر

ومما مرّ علمتَ بماذا فتح المسلمون البلاد؟ وما أقاموه من العدالة والحِكمة حتى انتشرَ الإِسلام في العباد وثبت قدمُهم بمدَّةٍ لم تمكّنْ لغيرهم منذ خلق الله الأرض ومن عليها إلى يوم المعاد، وبانحرافهم عن دينهم اليوم غزاهم السُّقَّاطُ والأوغاد.

لم يَستعبدوا حرًّا ولا عبداً، ولم يضربوا أحداً بطائرة ولا مدفعٍ ولا صاروخ، بل كان العبد والسيد في الحقِّ سواء، وسنورد لك شيئاً من تراجم من ذكرنا من أرقَّاء المُسلمين على سبيل المثال والاختصار لتكونَ على بيِّنَةٍ من الفرق الواضح بين معاملةِ العرب لأرقائهم وبين معاملة الغربيين لمن يستولون عليهم، ولو اتَّبعوا دينهم، ولو آمنوا بهم، ولو أخذوا أملاكَهم وأموالَهم، وطعامهم وشرابهم، وما أفحشَ الظلم الواقع بمن يستولون عليهم؛ فإنّهم كالوحوش الضارية التي تسرح وتمرح بالأغنام، وما أقبحَ القوة في يدِ الظلمة من الحكام.

وإنَّ العرب بعد أن دخلوا الإِسلام، جمع كلمتَهم بعد تفرُّقها، وأزال ضغائنَ قلوبهم بعد استحكام عصبيَّتِها لم يكن يُعلن الجهاد على البشر للاستعلاء والتحكُّم والمُلك، وإنّما كان لإِزاحة الظُّلم عن بني البشر الذي كان مخيّماً عليهم من تعسف الملوك والرؤساء، فقد كان اليونان والرومان يستعبدون من سواهم من الأمم كما حكاه عنهم أخبار التواريخ المتواترة، وكفانا صدقاً ودليلاً على ذلك ما قصَّهُ اللهُ تعالى في كتابه العزيز والتوراة والإِنجيل من استعباد الفراعنة لبني إسرائيل، وكذا من عاصرهم من ملوك اليونان والرومان كما سنتلوه عليك من نصوصِ التواريخ المتداولة التي يُغْنينا عنها ما نشاهده اليوم من المُستعمرين المتستّرين باسم النصرانية البريئة منهم، وما فعله الإِسبان مع العرب في الأندلس.

هل يوجد في التاريخ العربي أنَّ فاتحاً من العرب آذى ذمياً أو امتهنه أو ظلمه؟ فيا قومِ انصفوا العربَ والإِسلام وحكّموا الوجدان باحترامٍ واحتشام تجدوا أنَّ جهادَ العرب والإِسلام كان ضرورياً للبشرية لتخليصهم من ظلم الملوك والعبودية.

لم يكنْ جهادُ المسلمين لإِكراه البشر على الإِسلام. لا والله، بعد قول الله تعالى في كتابه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وإنما لإِفشاء عوائد الإِسلام التي ابتنى عليها من العدالة والمساواة والحرية الحقيقية، لا هذه الثلاثة التي يؤولها المستعمرون كما يشاؤون، وما كان أحدٌ من فُرسان المسلمين يبارز أحداً إلّا دعاه لإِحدى ثلاث: إما الدخول في الإِسلام فيكون كأفراد المسلمين، وإما أداءُ الجزية حتى يكون جارية عليه أحكام الإِسلام، وإمّا الحرب، هذا أساسُ دينِ الإِسلام، ثم إنَّ الجزيةَ لا تُقبل إلّا ممّن التزم ديناً سماوياً.

وأمّا أنْ يُترك الإِنسان بدون دينٍ فهذا ما جزاؤه إلّا الحرب، على هذا أزالَ الإِسلامُ ملكَ الفرس بالكلّية، ولم يبق له أثراً، وأزالَ الشِّركَ من بلاد العرب بظَرف عشرِ سنين من النبوة، ولم يبق في بلاد العرب من يعبدُ الأصنام، وأَبقى أهلَ الكتاب في كلِّ مكانٍ إلّا من غدَر منهم بالعهد المأخوذ منه. فالجهاد الإِسلامي إذن هو ضروري للبشر لا محيدَ عنه.

هذه دولة اليونان وما سامت البشرية في ماضي زمنها من بلاءٍ، وهذه دولة الرومان وما عملته مع المسيحية في ماضي زمنها من تشتيتٍ وقتلٍ وإرهاق، وهذه دولة الإِسلام وما كان فيها من عدلٍ وأمانٍ، بحيث تستهوي كلَّ من عرفها حقَّ المعرفةِ أن يعتنقها بكلِّ رغبةٍ وقبولٍ وإذعانٍ.

وحبذا لو صادف كلامُنا المنصفَ المفكِّرَ، وأمّا غير المفكّر لا يفيده الحقُّ إلا إضراراً على الباطل، كما قال الحكماء: ثلاثةٌ لا تنفع مع ثلاثة: لا ينفعُ الدَّليلُ مع العناد، ولا الحديثُ مع الاعتراض، ولا النيّة مع الباطل المعتاد.

أمّا دليلنا على استعباد العباد عند غير المسلمين، وسوء استعمالهم فهو ما أجمع عليه المؤرخون وأربابُ الأديان من استعباد الفراعنة لبني إسرائيل،

وقتل أبنائهم واستحياءِ نسائهم، ثم قتل بني إسرائيل للمسيحيين حتى استطالوا لسيدنا عيسى عليه السلام، ولم يمكّنوهم من إظهار دينهم.

وفي زماننا ما فعله الإسبان بالعرب والمسلمين، وما فعلته أمريكة بسكان أمريكة الأصليين، وما تفعله أمريكة الجنوبية حتى الآن بالسُّود من الأهلين الأصليين، وما تفعله الأقلية الحاكمة في جنوب إفريقية بالأهل الأصليين الذي كان السبب في تأليف هذه الرسالة، وتحدّي من يُنكر شيئاً منها، وتحدّي من يدّعي أنَّ العربَ فعلت جزءاً من ألف جزء مما يفعله غيرهم من المستعمرين.

ممّا يدلُّ كلُّ ذلك أنَّ جهادَ العرب وجهادَ المسلمين ما هو إلّا لنشر مبادىء العدالة بين الأمم، وإعطاء كلِّ أُمّة حقَّها، بل زادت الأقليات التي تحت حكم الدول العربية في هذه الأيام على حقوق الأكثرية السَّاحقة من غيرهم.

وأعظمُ دليلٍ وبرهانٍ ما دبَّره الإنكليز والأمريكان بايجاد دولة المسخ، وإجلاء أهل البلاد عنها، وإعطاء أرضهم وأموالهم لشذاذ اليهود والأفَّاق، لكن كما قُلنا: ثلاثةٌ لا تنفع مع ثلاثة، ولا حول ولا قُوّة إلّا بالله الواحد على الإطلاق.

فصل في ذكر بعض نصوص ما ورد في الشرائع السابقة:

مما يدلُ على أنَّ الرِّقَّ لم يكن بدعاً في شريعة الإسلام، إنّما هو قديمٌ أقرّته الشرائعُ السَّماوية والأنبياءُ قبل نبيّنا ﷺ، ثم هذَّبته الشريعةُ الإسلامية بما يُوافق جميعَ العصور الآتية بحيث لا يجوزُ نسخه، وما إنكار الغربيين له إلا جهلٌ أو تجاهلٌ بدينهم ليصموا الشريعةَ الإسلامية بما يرونَه منقصةً، مع تعاميهم عمّا وردَ من الآيات والأحاديث المرغّبة في الإعتاق ممّا يحملُ الناظرَ إليها أن يقول: لا رِقَّ في الإسلام، ومع تعاميهم عمّا ورد من الحثِّ على إكرام الرقيق حتى يكاد النَّاظرُ أن يقول: إنَّ الرقيق السيّدُ في الإسلام، والتاريخ الغنيُّ بهذه الحقائق أعظمُ شاهدٍ وبرهان.

وسترى بعرضِ الكلام، وبفصلٍ خاصٍ ذكرَ الشواهد التاريخية وبالله المستعان.

جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج ما نصُّه: إذا اشتريتَ

عبداً عبرانياً فستَّ سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً. إن دخل وحده، فوحده يخرج، إن كان بعلَ امرأةٍ تخرجُ امرأتُه معه. إن أعطاه سيِّدُه امرأةً وولدتْ له بنينَ أو بناتٍ فالمرأةُ وأولادها يكونون لسيِّده، وهو يخرجُ وحدَه، ولكنْ إن قال العبدُ: أحبُ سيدي، وامرأتي، وأولادي لا أخرجُ حراً يقدِّمه سيِّده إلى الله، ويقرِّبه إلى الباب أو إلى القائمِ ويثقبُ سيِّدُه أذنَه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد.

وإذا باعَ رجلٌ بنته أَمة لا تخرج كما يخرجُ العبيدُ إن قَبحتْ في عيني سيِّدها الذي خطبَها لنفسه يدعها تفك، وليس له سلطانٌ أن يبيعها لقومٍ أجانب لغدره بها، وإن خطبَها لابنه فبحسب حقِّ البناتِ يفعلُ لها إنِ اتخذ لنفسه أُخرى، لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها، وإن لم يفعل هذه الثلاث تخرجُ مجاناً بلا ثمنٍ اهـ. طبع الأمر كان في بيروت سنة ١٩٠٨.

وقال أيضاً في هذا الإصحاح: وإذا ضرب إنسانٌ عبدَه، أو أَمَتَه بالعصا فمات تحتَ يده، ينتقمُ منه لكنْ إن بقي يوماً أو يومين لا يُنتقمُ منه؛ لأنّه مالُه، ثم قال: وإذا ضربَ إنسانٌ عينَ عبدِه أو عينَ أمته فأتلَفَهُ، يُطلقُه حراً عوضاً عن عينه اهـ.

وقال في الإصحاح الثاني عشر من تلك الرسالة أيضا: كما أنَّ الجسد هو واحدٌ وله أعضاء كثيرة، وكلُّ أعضاءِ الجسد الواحد إذا كانت كثيرةً هي جسدٌ واحدٌ، كذلك المسيح أيضاً لأننا جميعا بروحٍ واحدٍ، اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ يهوداً كنَّا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سقينا روحاً واحداً.

وقال في الإصحاح الرابع من رسالة بولس إلى غلاطية: قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحتَ الناموس، ألستم تسمعون الناموس؟ فإنه مكتوبٌ أنه كان لإبراهيم ابنان، واحدٌ من الجارية، وآخر من الحرَّةِ، لكن الذي من الجارية ولِدَ حسب الجسد، وأما الذي من الحرَّة فبالموعد، قال: لكن ماذا يقول الكتاب؟ اطرد الجارية وابنها، لأنّه لا يرث ابنُ الجارية مع ابنِ الحرَّة، اذن أيُّها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرَّة.

وقال في الإصحاح الأول من رسالة بولس إلى تيطس: والعبيد أنْ يخضعوا لساداتهم ويرضوهم في كلِّ شيءٍ مناقضين غير مختلسين بل مقدمين كلَّ أمانةٍ صالحةٍ لكن يزينوا تعاليم مخلصنا الله في كلِّ شيءٍ.

فهذه بعض نصوص الأناجيل.

ألّف العلامة أحمد شفيق بك السكرتير الخاص لسعادة ناظر الخارجية باللغة الفرنسية كتاب «الرق في الإِسلام» وهو رد مسلم على الكردينال لافيجري وقد ترجمه حضرة أحمد زكي بك مترجم مجلس النظار، ولأهمية أبحاث هذا الكتاب أورد عليك يا أخي فصل القانون الأسود[1]:

القانون الأسود

اعلم أن هذا الاسم يُطلق في جميع البلدان على مجموع القواعد والأُصول المدونة بشأن الاسترقاق

وقد صدر في ١٧ مارس سنة ١٦٨٥ مرسومٌ بتنظيم أحوال الأرقاء والعتقى في جمع المستعمرات الفرنساوية، وتقرر فيه تخويل الحقّ المدني والسياسي للأحرار من ذوي الألوان، واعتبار العتقَ ولادة جديدة للمعتوق، على أن الجمعية الدستورية لما أرادت العمل بهذا المبدأ واستنباط النتائج المترتبة عليه عقلاً صادفت صعوباتٍ عنيفة، ومعارضات قوية، وما ذلك إلاّ لأن القانون الأسود لم تنفذ منه إلاّ القواعدُ الصّارمةُ، والأحكام البالغة في الشدَّة، أما الأصولُ المقتضية حصر سلطة الموالي أو تحميلهم بحقوق لأرقائهم فكانت مهملةً متروكةً كأنَّها لم تكن.

وإذا اعتدى الزنوج بأقل إكراهٍ على ساداتهم أو على الأحرار أو ارتكبوا أخفّ السرقات، فجزاؤهم القتل أو العقاب البدني بالأقل، وهذا دليلٌ كافٍ على ما في القانون من الشدّة التي ليس بعدها شدّة، وإن الإِنسان ليمتلىء غيظاً وغضباً إذا ذكر أنواعَ العقاب التي كانت موضوعة للآبقين، فقد كان عقاب الإِباق في المرة الأولى والثانية قطعاً للآذان، ومسحاً بالسّوق، وكيّاً بالحديد المحمّى، وفي الثالثة القتل.

ومهما بلغت شدّةُ هذا القانون فإنها لا تنقص عن قانون المستعمرات

---

(١) الرق في الإِسلام صفحة ٣٩.

الانكليزية إذا قابلناها بها، فقد تقرر في مستعمرة الجامايك وانتيجوا أن من أبَقَ واستمرَّ في إباقه أكثر من ستة شهور جزاؤه الإعدام.

ومن أسوأ الأحكام التي جاء بها المرسوم الصادر في مارس سنة ١٦٨٥ أنه عندما يرتكب المالكُ أو الرئيس أيةَ جنايةٍ على الرقيق، ولو كانت جنايةَ القتل يكون للقضاء الحريةُ في مُراعاةِ أحوال البراءة، وأن يبرِّئوا ساحةَ المتهمين الغائبين، من غير أن تكون هناك حاجةٌ للاستحصال على العفو، وقد كتب هيليار دوبر توي في (ملاحظاته على مستعمرة سان دومينج) أن «المرسوم الصادر في سنة ١٦٨٥ لا يمنع من هلاك الأرقاء في كلِّ يومٍ بسبب تكبيلهم بالسلاسل أو جلدهم بالسياط، ولا من ضربهم ضربَ التلف والإزهاق، ولا من إحراقهم عسفاً واستبداداً، وكلُّ هذه الفظائع يرتكبها القومُ في المستعمرة، ولا رادعَ يردعهم؛ حتى إنَّ كلَّ ذي لونٍ أبيض يُعامل الأسودَ بالغلظة والقسوة ولا حرج عليه في ذلك، وإذا أُلحق ضررٌ بعبد من العبيد فالقضاة اعتادت عدم النظر إلى هذا الضررِ إلّا من حيث أنه يُنقص من ثمن العبد المجني عليه»

وقد أيّدت الجمعيات الاستعمارية في كلِّ زمانٍ هذه القاعدة وهي أنه لا يسوغ للمتشرّعين أن يتوسَّطوا أو يتدخَّلوا بالشرائع بين العبد ومولاه؛ وكان الأحرارُ من ذوي الألوان محرومين من وظائف النفوذ والاعتبار.

بل قد صدرت أوامرُ متنوّعة من نظارات الحكومة بمنع التوسع في تأويل مواد القانون الأسود، فمنها ما كان بالنهي عن البحث في الأوراق المثبتة أن صاحبَها من طائفةِ الأشراف متى تزوج بامرأة امتزج بها دمُ الأرقاء، وكان مثل ذلك الرجل يعدُّ غيرَ جديرٍ بأية وظيفةٍ في المستعمرات، بل يُعتبر ساقطاً من درجة ذوي اللون الأبيض؛ ومنها ما كانت بتحريم حضور ذوي الألوان إلى بلاد فرنسا للتغذي بألبان المعارف، واقتطاف ثمرات التأديب والتهذيب؛ ومنها ما تضمّن عباراتٍ صريحةً هذا تعريفها «إن حسن النظام مما يوجب عدم إقلال الصغار والاحتقار المرتبط بالجنس الأسود مهما كانت درجته ومنزلته، وقد صمم جلالةُ الملك على إبقاء الحكم الاعتباري الذي مقتضاه أن يُحرمَ إلى أبد الآبدين ذوو الألوان وذريتهم من المزايا الخاصة بالجنس الأبيض» (يناير سنة ١٧٦٧).

هذا كلُّه كان جارياً في أواخر القرن الثامن عشر قبل الثورة الفرنساوية، ولا زالت مواد القانون الأسود تزداد شيئاً فشيئاً بما يصدرُ من مركز الحكومة أو جهات السلطة بالمستعمرات من الأوامر، ومعظمها لم يقصد به ترقية حال الرقيق، ولا تحسين درجته كما رأينا، وقد صار هذا القانون أساساً لتقرير الأحكام، وسنِّ النظام في الأملاك الفرنساوية، وفي الجهات المستعمرة لها إلى أن حصلت الثورة في فبراير سنة ١٨٤٨ فعملت على إبطال الاسترقاق مرّة واحدة، فكان لها بذلك فخر يذكر فيشكر.

أما القوانين القديمة الخاصة بذوي الألوان وبالأرقاء في الولايات الجنوبية من بلاد أمريكة المتحدة المعروفة أيضاً بالقوانين السوداء فكان فيها مع الشدَّةِ والصَّرامة ما تنقبض له النفوس، وتنفرُ منه القلوب، فقد صرحت الشريعة في ولايات لويزيانة وكارولينة وغيرهما من الولايات الجنوبية أن المولى «له حقٌّ الملك المطلق على عبده» فله بيعه وإجارته ورهنه وخزنه، وإجراء الجرد عليه، وأن يُقامر عليه، وغير ذلك من الأعمال؛ ولما كان العبد مُسلَّطاً عليه أبداً كان من المحتوم عليه أن يحترمَ سيِّدَه وأعضاء عائلته احتراماً ليس بعده احترام، ويطيعهم طاعةً لا حدَّ لها (يراجع القانون الأسود لولاية لويزيانة).

أما حقُّ مدافعةِ الإنسان عن شخصه، وهو من الحقوق المخولة بالطبع لكلِّ فردٍ من أفراد بني آدم، فما كان للزنجي المستعبد أن يتمتَّعَ به، ذلك كما قضى القانون الأسود لولاية كارولينة الجنوبية، ولم يكن للعبد حقٌّ في الذهاب والمجيء، وما كان له أن يخرجَ من الزريبة إلاّ بتصريح قانوني وافٍ لجميع الشروط المفروضة، على أن هذا التصريح كان له آفةٌ تذهب بالغاية منه، وذلك أنه إذا اجتمع في الطريق العام أكثر من سبعة من الأرقاء يُعتبرون مخالفين للأوامر، وأول أبيض يصادفهم في الطريق له أن يُلقي القبضَ عليهم ويجلدهم عشرين جلدة، وكان العبد معتبراً شيئاً لا إنساناً، فكان الذين ينقلونه من مكان إلى آخر مسؤولين عن فقده وضياعه، وعن العوارض التي تُصيبه، كما لو كانوا يُسألون عن خسارةِ أو تلفِ حملٍ من الأحمال، أو طردٍ من الطرود.

هذا وقد نصَّ القانون على أن العبيدَ لا نفسَ لهم ولا روحَ، قضى بأنْ

لا فطانةَ ولا ذكاء لهم، ولا إرادة، وما كانت الحياة تدبُّ إلّا في أذرعهم فقط.

فمن ذلك يتضح أن حرية الزنجي كانت معدومةً ولا وجودَ لها، ولكن في نظير ذلك كانت مسؤوليته عظيمة جداً، فكان يعتبرُ شيئاً من الأشياء فيما يختصُّ بحقوقه، وأما فيما يتعلّقُ بالواجبات المفروضة عليه فإنه كان يعودُ له اعتبار الصبغة الآدمية والصفة البشرية، وكان القومُ يعتبرونه حراً كلما كانت حريته تسوّغ الحكمَ عليه بالسوط أو بالموت، وكان القانون ومشيئة المولى يفرضان عليه واجبات كثيرة، ويلزمانه بأمورٍ متعدّدة، ويعاقبانه بالشدّة والصرامة إذا ظهر منه العصيان، وكلُّ ما يُعتبر جناية من الأبيض فهو كذلك بالنسبة إلى الأسود من غير عكس، فيعاقب القانون الزنجي على جنحٍ وجناياتٍ يفعلها، ولا يسوغ معاقبة الأبيض عليها إذا وقعت منه، وما هذا إلّا لمجرد اللون، ولذلك كانت العقوبات مختلفة اختلافاً بيّنا بحسب الحكم بها على الأسود أو على الأبيض، وكان القانون العادي يحكم بالإعدام على كلِّ زنجيٍّ يضربُ ويجرحُ مولاه أو مولاته أو أولادهما أو يبتر عمداً عضواً من أعضاء شخصٍ أبيض، أو يعودُ لضرب أبيض مرَّةً ثالثة، أو يسرق أو يرفع لواء العصيان، أو يرتكب ما أشبه ذلك من الجرائم، ويُحكم بالجلد على كلِّ من كان سائراً بلا تصريح أو يُغضبُ مولاه بسببٍ ما أو غير ذلك.

وفي الولايات الجنوبية المختلفة كان العتقى واقعين تحت طائلة القوانين الصارمة المسنونة لأجلهم، فما كان لهم قبل إبطال الإسترقاق أن يشهدوا في قضيةٍ ما إلا إذا دُعوا للشهادة على الأرقاء أو على أمثالهم، ومع ذلك فما كان يجوز تحليفهم اليمين القانوينة لأنها أشرفُ وأسمى من أن يتفوّهوا بها فيدنسوها بتفوههم، وكان لا يجوز لهم حمل السلاح، ومن خالف هذا النهي حُكم عليه بالجلد، وقد ورد في نصِّ القانون نفسه أنهم لا يجوز لهم أن يستروا جلودهم إلّا بثياب من القماش الخشن الدنيء حتى يكون في ذلك إعلامٌ بشأنهم لمن يراهم من بعيدٍ مثل الليمانجية (المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة) وكان ذو اللون الذي يسبُّ الأبيض أو يضربه يُعاقب بالحبس والغرامة، فإذا كان الأبيضُ هو الذي سبق بضربه ثم تجرّأ هو أن يدافع عن نفسه، وقتل المعتدي عليه حفظاً لحياته

كان يعتبر مرتكباً لجريمة القتل، وواقعاً تحت العقاب الذي يستوجبه، ولم يقتصر القانون على هذه النصوص والأحكام بل حرّم عليهم تقريباً حرية المرور، ولم يكن لهم الحقُ في طلب ورقة الجواز، وكان لونهم سبباً للريبة في أمرهم والاشتباه في أحوالهم، لأنه يجعلهم بمثابة الأرقاء، فلذلك ما كان يجوز لهم أن يسافروا خارج الحيِّ المتوطّنين به، لئلا يعرّضوا أنفسهم للحبس والإِهانة من ذوي اللون الأبيض، فإنّهم يمكنهم أن يسرقوهم ويبيعوهم، وفي بحر سنة ١٨٥٩ اقترعت الجمعية التشريعية في ولاية أركانزاس على قانون مقتضاه نفي جميع ذوي الألوان من أراضيها؛ ثم ضبطتِ الحكومة جميعَ المنفيين الذين لم يُتحْ لم مُفارقةُ مواطنهم قبل أول يناير سنة ١٨٦٠ وباعتهم أرقاء في المزاد العمومي، وقد حصل مثل ذلك أيضاً في ولايتي ميسوري ولويزيانة وغيرهما.

أما الذين كانوا يسعون في إبطال الاسترقاق، وينادون بوجوب إلغائه، فأولئك كانوا موضوعاً للاحتقارِ والإِهانة بنوعٍ خاص في مواد القانون الأسود، وكان الإِعدام جزاءً لكلِّ من أشار على أحَدِ الأرقاء أو على جماعة منهم بالهيجان، وخلع الطاعة، سواء كان ذلك بقولٍ أو فعلٍ أو كتابة أو بغير ذلك من الطُرق الأخرى، وكان الإِعدام أو الأشغال الشاقة مؤبداً جزاءً لكلِّ من نشرَ رسالةً أو كُراسة أو مطبوعاً في أي موضوعٍ من شأنه إحداث السخط وعدم الرضى بينَ الأحرار من السود، أو تحريضَ الأرقاء على عدم الامتثال، وكان الإِعدام أو الأشغال الشاقة من خمس سنين إلى إحدى وعشرين سنة عقاباً لكلِّ من قالَ مقالاً أو أشارَ إشارةً أو عمل عملاً من شأنه أن يثيرَ الغيظَ في قلوب الزنوج الأحرار أو الأرقاء، وكذا كلّ من أدخل بعلمه في أرض الحكومة بجرائدأو كراسات أو كتباً مؤلفة بالطعن في الاسترقاق.

هذه هي أخص الأحكام التي كانت مدونة في القانون الأسود قبل أن تهيج الحرب المدنية التي خرّبت الولايات المتحدة سنين متوالية مبدؤها سنة ١٨٦٢، وهي تأتينا بالنبأ الصادق والدليل الواضح على ما كان يجول في خواطر واضعي القوانين نحو الأرقاء المستعبدين، ولكن الزنوج أصابوا من الحروب غنيمتهم ألا وهي الحرية ونعمت النعمة.

الاسترقاق في الديانة النصرانية

هل تمكنت الديانة النصرانية من إلغاء الاسترقاق أو من تلطيف شدّته وتخفيف وطأته ؟ حقاً جاء في الإِنجيل أنَّ الناس كلَّهم يُعتبرون إخواناً، وأنه يجب عليهم أن يحبَّ بعضُهم بعضاً، ولكن لا تجد فيه نصّاً صريحاً ضد الاسترقاق، وهذا الأمر الذي لم يأت به عيسى عليه السلام لم يأت به الحواريون من بعده، فلا ترى طائفة من الطوائف المسيحية قالت بتحريم الاسترقاق، وكان الأمر كذلك عند الكنائس المختلفة التي تولدت من هذه الطوائف وهي الكنيسة الرومانية اليونانية (الرومية) والكنيسة الكاثوليكية ثم البروتستانت.

وقد أوصى بولس[١] الأرقاء في رسالته التي بعث بها إلى الأفسيين[٢] أن

---

(١) ولد هذا القديس في السنة الثانية الميلادية من أبوين يهوديين في مدينة طرسوس التي كان لها حقّ التبعية الوطنية الرومانية، وكان اسمه شاول في أول الأمر، وكان أولاً من أشدّ مضطهدي المتنصرين، ولكن ظهرت له رؤيا فبدّلت أحواله، فدخل في الدين المسيحي، وصار داعياً غيوراً إلى هذا الدين الذي كان يضطهده ويسعى في تقويض دعائمه، وبشّر بالإِنجيل عن وثنيي آسيا وجزائر اليونان، ثم عاد إلى أورشليم سنة ٥٨، وكان اليهود يكرهونه أشدَّ الكراهة، فنصحه إخوانه أن يسعى في تقليل كراهتهم له؛ منعاً لأذاهم عنه وبغيهم عليه، وحيث أن الديانة النصرانية تحافظ على الشريعة الموسوية، فتوجّه إلى هيكل اليهود في بعض الاحتفالات، وأخذ يتمم التطهير الطقسي المنصوص عليه في شريعة اللاويين، لكن هذه الواسطة التي كان المراد بها تخليصه من أعدائه كانت سبباً لوقوعه في أيديهم، فإنهم قبضوا عليه بحجّة أنه يسخرُ بديانتهم، فخلّصه الحرس الروماني من أيديهم ولكن فيلكس والي اليهود من قبل الرومانيين وضعه في السجن إرضاءً لليهود، ثم أُرسل إلى رومية للمحاكمة، ويقول قومٌ: إنه بقي مسجوناً فيها إلى أن توفي، والمرجّح أنه حوكم، وظهرت براءته، ولكن قبض عليه مرّة ثانية واستجلب سخط الأمبراطور الروماني بإجاباته فحُكم عليه بالقتل.

(٢) هم سكان مدينة افسس القديمة في آسيا الصغرى وهي شهيرة بهيكل ديانا.

يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعوا المسيح عليه السلام، وقد أمر الأرقاء في رسالته الأولى إلى تيموثاس[1] أن يعتبروا ساداتهم أهلاً لكلّ تشريف وتبجيل، وأوصى مواليهم من النصارى بأن يُبالغوا في حُسن القيام بخدمتهم، ثم قال بأن هذه هي تعاليم يسوع المقدّسة، وأنها منطبقة على التقوى، ثم وصف بالكبرياء والجهالة كلّ من عمل بغير ذلك، ولكنّه من جهةٍ أخرى يُوصي الموالي باتباع خطة الإِنصاف في معاملة أرقائهم، وأوصى في رسالته إلى نيطس[2] بأن يستجلبوا رضا مواليهم في كلّ أمر تعظيماً وتمجيداً لتعاليم المخلص (سيدنا عيسى عليه السلام)، وقد أوصى الحواريُّ بطرس[3] الأرقاء في رسالته الأولى بأن يكونوا خاضعين لمواليهم وأن يخشوهم.

---

(١) هو تلميذ بولس الرسول ورفيقه في السفر والتبشير كان أبوه يونانياً وأمه يهودية فلكي يمنع بولس تذمر اليهود ختنه.

(٢) هو رفيق لبولس، وشريكٌ له في العمل وهو يوناني، وقد ناب عن بولس في قرنثية ودلماسيا وأقيم لخدمة كنائسية في كريت، وهو أول أسقف بها، وقد اختلفوا في صحة نسبةِ الرسالة المذكورة هل هي من بولس حقيقةً أم لا.

(٣) أحد الحواريين الاثني عشر ولد في بيت صيدا من الجليل واسمه الأصلي سمعان، وسماه عيسى عليه السلام عندما رآه كيفا، ومعناه بالسريانية الصخرة أو الحجر (الصفا)، وبطرس مرادف له باليونانية، وكان صياداً للسمك، فدُعي لترك هذه المهنة وأن يكون صياداً للناس، وكان هو أحدَ الثلاثة الذين اختارهم المسيح ليشاهدوا تجلّيه على جبل طابور، وكان له بعض التقدم بين الحواريين، وبناء على ذلك وعلى أمر المسيح له بأن يرعى خرافه، وأنه على تلك الصخرة بنى كنسيته، بنى الكاثوليك تعليم رئاسة البابوات كخلفاء لبطرس، وأما البروتستانت وغير الكاثوليكيين فيخالفونهم في أمر السيادة وما يترتب عليها من حقوق الخلافة، وكان غيوراً على دينه شديد التعلّق بمعلمه، جسوراً، صَرَفَ أكثر وقته في تشييد الكنائس في فلسطين والكور (المقاطعات) المجاورة لها، وتكميل نظامها وهو يعتبر أول أسقف لرومة، وقال قوم إنه لم يأت هذه المدينة إلاّ في السنة الأخيرة من حياته، ويقال إنه صُلب منكّساً إجابة لطلبه لأنه قال: إنه لا يستحق أن يُصلب كسيده، وقد خاطب في رسالته الأولى المرتدين من اليهود خاصة، والمقصود منها تثبيتهم في الإِيمان تحت الاضطهاد ودحض ضلالات سيمون والنيقولاويين، وأما الثانية فهي موجهة لليهود واليونانيين.

ولما جاء آباءُ الكنيسة على إثر الحواريين اقتفوا أثرهم، وساروا على سننهم، فأباحوا الاسترقاق وأقروه.

فقد استند القديس سيبريانوس [١] والبابا القديس غريغوريوس الأكبر [٢] على ما قاله القديس بولس وصرح بضرورة الإقرار على الإستعباد، وقال القديس باسيلوس [٣] بعد أن أورد ما جاء في الرسالة إلى أهل افسس ما تعريبه «وهذا يدل على أن العبد يجب عليه طاعة مواليه بقلب سليم تمجيداً لله العلي العظيم»، وقال القديس ايزيدوروس من بيلوزة (الطينة بالقرب من الفرما) مخاطباً للرقيق «إني لأنصحك بالبقاء في الرق حتى ولو عرض عليك مولاك تحريرك، فإنك بذلك تُحاسبُ حِساباً يسيراً، لأنك تكون خدمت مولاك الذي في السماء، ومولاك الذي في الأرض. وقال القديس توماس [٤] من مدينة اكوين

---

(١) هو من أهم أباء الكنيسة اللاتينية، ولد في قرطاجة من أبوين وثنيين في أوائل القرن الثالث للميلاد، ثم اضطهد حتى اضطر لمغادرته وعاد إليه بعد قليل، وأبطل البدع والضلالات التي ظهرت في غيبته، وحصل له جدال مع البابا اسطفن في مسألة معمودية الهراطقة، وأثبت خلافاً لهذا البابا أنها غير صحيحة، ثم نُفي في عهد الامبراطور فالريانوس، وتوفي بعد ذلك، وله مؤلفات كثيرة طبعت وترجمت.

(٢) وهو مولود برومة في سنة ٥٤٠ وتوفي بها سنة ٦٠٤ كان من أرباب الوظائف الإرادية في الحكومة برومة ثم ترهبَ وانتُخب لوظيفة البابوية لحسبه ونسبه وتقواه وورعه ودرايته بأساليب الإدارة، ويُقال إنه سعى في إبطال الاسترقاق وأسس أديرةً كثيرة، وهو الذي نصرَ بريطانيا العظمى والقوط الآريين، وقيل إنه أحرق الكتب غير الدينية، وأباد كثيراً من الآثار والمعالم الوثنية.

(٣) وهو الملقب بالكبير ومن آباء الكنيسة اليونانية برعَ في الفصاحة والمنطق. وجدَّ في تحصيل الفلسفة والطبيعيات والطب والشعر والفنون المستظرفة، وقد أنشأ مدرسة للبيان نجحت نجاحاً عظيماً، ثم تركها وانقطع للعيشة الرهبانية، وكان متى فرغ من العبادة صرفَ أوقاته مع صديق له في قطع الحجارة، وحمل الحطب، وغرس الأزهار، وحفر الأقنية لسقي الأراضي الرملية، ولما تُوفي شيع جنازته جميعُ سكان المدينة، وشارك اليهود والوثنيون النصارى في البكاء عليه.

(٤) وهو من مشاهير اللاهوتيين ولد في سنة ١٢٢٧ ميلادية في قصر روكاسيكا من =

إن الطبيعة خصصت بعض الناس ليكونوا أرقاء» وأيَّد ما ذهب إليه بالعلاقات المختلفة التي تجعل بعضَ الأشياء خاضعةً لبعضها حساً ومعنى، واستشهد على ذلك بالشريعة الطبيعية والشريعة الإنسانية (الوضعية) والشريعة الإلهية وبما ذهب إليه الفيلسوف أرسطاطاليس.

وقد استنتج بوسويي[1] من الفوز والانتصار حق قتل المكسور المقهور، ولذلك يقول: إنَّ استعباد ذلك المغلوب نعمة ورحمة.

ولم تتغير آراء الكنيسة فيما يتعلّق بالاسترقاق من عهد بوسويي إلى يومنا هذا، ونحن نستشهد على ذلك بما أورده بعض علماء اللاهوت المتأخرين الموثوق بأقوالهم المعتمدِ على آرائهم.

قال بايي[2] بصحّةِ الاسترقاق معتمداً على ما ورد في الإصحاح الحادي عشر من سفر الخروج، والإصحاح الخامس عشر من سفر الأحبار، وعلى

= مملكة نابولي عائلة عريقة في الحسب كريمة النجار، وقد عرض عليه كثير من البابوات مناصبَ الكنيسة العالية لما امتاز به من المعارف والتقوى والغيرة على الدين ولكنه رفض كلَّ ذلك، وكان أعلَم أهل زمانه وأكثرهم معرفة باللاهوت وله مؤلفات كثيرة فيه وفي الفلسفة وغيرهما.

(١) هو خطيب وواعظ فرنساوي، وهو من عائلة شريفة كان أكثر أعضائها حكّاماً وقضاة، وكان يُلقي عظاته في الجنائز، فيكون لها في القلوب أشدَّ تأثير، وعُهد إليه تأديب ابن ملك فرنسا، فألَّفَ له خطاباً في التاريخ العام تكلّم فيه عن الحكمة الإلهية في تقلبات الأحوال على الكنيسة، وقد ترجم إلى اللغة العربية، ورسالة معرفة الله ومعرفة الإنسان نفسه، وبعد أن أتمَّ تآليفه ألفَ كتاباً معتبراً في التعليم المسيحي، وألف لراهبات أسقفيته تأليفين في الدين من أحسن ما كُتب في بابهما، وقد اجتهد في إقناع البروتستانت بصحّة التعليم الكاثوليكي، وألف في ذلك كتاباً بل قد اتفق مع بعضهم على ضم الكنيستين الكاثوليكية واللوثيرية (البروتستانتية) ولم ينجح، وفي أواخر حياته اشتغل بدحض تعليم الاتكال على الإيمان دون الأعمال، وقد ناظر فنلون الشهير (صاحب كتاب تليماك الذي ترجمه العلامة رفاعه بيك طيب الله ثراه) فغلبه.

(٢) وهو من كتاب اللاهوتيين ولد سنة ١٧٣٠ ميلادية وتوفي سنة ١٨٠٨، وله كتب كثيرة دينية معتبرة.

تعريفات مختلفة جاءت في قوانين الكنائس، وقال: إن الإِنسان لا يجوز له أن يبيع نفسه، وأن الحرب يترتب عليها حقُّ استعباد العدو واسترقاقه، وفي أيامنا هذه أقرّ نيافة بوفيية أسقفُ ألمان[1] على الاسترقاق في (فتاواه اللاهوتية) المتخذة أساساً للتعليم في الأديرة، بل إنه اعتبر فوق ذلك أن النخاسة تجارة مُحللة، وقد نحا هذا النحو أيضاً جناب الأب ليون في كتابه (العدل والحق)، وقد أثبت جنابُ الأب فوردينيه رئيس دير الروح القدس أنَّ الاسترقاق من جملة النظام المسيحي، وصرح بذلك في كتاب «تعليم الديانة المسيحية المخصص للخورنيات[2] بالمستعمرات الفرنساوية» وقد نُشر هذا الكتاب في سنة ١٨٣٥ بتصديق من المجلس الديني في رومية، وقال الأب بوتان في الصفحة ٨٩ من كتابه الذي اسمه «فلسفة الشرائع» المطبوع في سنة ١٨٦٠: «إنَّ ما يتعلّق بالحوادث متغيّر، وحينئذ فالاسترقاق الذي يُباح في بعضِ الأحوال قد لا يُباح في البعض الآخر، وهو في كلا الأمرين صحيح موافق للديانة»، وقد أثبت السيد باتريس لاروك في كتابه الذي عنوانه «الكلام على الاسترقاق عند الأمم النصرانية» المطبوع في باريس سنة ١٨٦٤ أن الديانة العيسوية لم تحرم الاسترقاق نصاً، ولم تلغه عملاً، وأيّدَ قوله بما ورد عن القديسين من النصوص التي سردناها وبغيرها.

وقد قال پيير لاروس[3] (في المعجم العام الكبير للقرن التاسع عشر المطبوع

---

(١) ميناء مقاطعة السارت في فرنسا على بعد ١١٠ كيلومترات من باريس.

(٢) وهي القرى التي يقوم بالخدمة الدينية فيها كاهن أو خوري.

(٣) هو من كبار الناشرين للكتب، ومن علماء الأدب بفرنسا، ولد سنة ١٨١٧ واشتغل بالتدريس في أول الأمر، ثم عاد وتلقّى الدروس في باريس، ثم درّس في إحدى المدارس، وأسس مكتبة مدرسية طبع فيها كتبه العديدة المختصة بالنحو والتعليم الابتدائي، وهي مشهورة متداولة في مصر أيضاً؛ وله كتابان في الأفكار والكلمات المأثورة هما «أزهار لاتينية» و«أزهار تاريخية» ثم ألّف موسوعات في ١٩ جزءاً ابتدأ فيها سنة ١٨٦٤، ولها تكملة طُبعت سنة ١٨٧٧ وسماها (المعجم العام للقرن التاسع عشر في اللغة الفرنساوية والتاريخ والجغرافية وغير ذلك) وكتبه في التعليم الابتدائي تشتمل على المطالعة والنحو وعلم اللغة ومبادىء الانشاء =

في باريس سنة ١٨٧٠ جزء ٧ حرف E صحيفة ٨٥٧ عمود ٢ فقرة ٢) «لا يعجب الإنسان من بقاء الاسترقاق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإن نواب الديانة الرسميين يقرُّون على صحّته ويسلّمون بمشروعيته».

وقد ذكر أيضاً أنَّ بعضَ القسس المسيحيين قد اجتهدوا في تخفيف مصائب الاسترقاق، فساعدوا على العتق والتحرير، ولكن ذلك إنما هو محضُ اجتهاد ذاتي، ولا ينقض ما سبق لنا تقريره.

ثم قال: وخلاصة الكلام في هذا المقام أنَّ الديانة المسيحية قد ارتضت الاسترقاق ارتضاءً تاماً إلى يومنا هذا، ويتعذّر على الإنسان أن يثبت أنها سعت في إبطاله، بل قد لزم ظهور أفكارٍ أخرى وانتشار مبادىء جديدة حتّى تمَّ إلغاؤه، فهي الثورة الفرنساوية التي أعدمته بما بنته من مبادىء الحرية، وما نادت به من:

(أن جميع الناس متساوون لدى القانون)

= واللغات المدرسية القديمة (أي اليوناني واللاتيني) وأسس جريدتين للتعليم إحداهما في سنة ١٨٥٨، واسمها مدرسة المعلمين، والثانية في سنة ١٨٦٠ واسمها المباراة وقد توفي سنة ١٨٧٥ ميلادية.

بعض من مسّه الرق

من أولياء الله

ـ لقمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ونبدأ بما ذكر الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه، قال تعالى في سورة لقمان[١١]: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ وهي الإقبال على الله تعالى في الكلّيات والجزئيات ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ وذلك لأنَّ ثواب شكره راجع إليه ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ ﴾ عن شكره ﴿ حَمِيدٌ ﴾ محمود مشكورٌ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فأحاسبك على شكرك وكفرك ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ ولا تعرض بوجهك عنهم تكبراً ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ اعتدل به ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ لأنهم يرفعون أصواتهم لا لسببٍ بعكس سائر الحيوانات، فإن الحيوانات كلّها تصوّت عند الألم أو الجوع أو لسببٍ والحمار لو مات من الألم أو العذاب أو الجوع لا يصوّت، بل لغير سببٍ ظاهرٍ بشهيق وزفير كأصوات أهل جهنم.

وقد مثّل الله به اليهود: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾ [الجمعة: ٥] ولا يدري ما بها بل قتلتهم شهوة الدنيا كالحمير، فإنهم أشدُّ الحيوانات شهوةً.

ونذكر بعض ترجمته من كتاب «الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان»[1] للسيد أحمد الحفني القنائي الأزهري، فإني وجدته بالنَّقلِ صادق القلم والجنان واللسان وإنّي أذكر ما ذكره من الأحاديث والآثار:

أخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سادات السُّوادن أربعة: لقمان الحبشي، والنَّجاشي، وبلال، ومِهجع».

قال مجاهد: كان لقمان حبشياً نجاراً غليظَ الشفتين، مصفّح القدمين، قاضياً في بني إسرائيل، لم يكن نبياً ولا مَلِكاً لكنّه كان راعياً أسودَ، رزقه الله العِتقَ ورضي قولَه ووصيَّتَه لابنه فقصَّ أمره في القرآن لتتمسّكوا بذلك، وكان عبداً حبشياً حسنَ الظنِّ، كثيرَ التفكّر، كثير الصمتِ، أحبَّ الله فأحبَّه الله تعالى، فمنَّ عليه بالحكمة، ونُودي بالخلافة قبل داود عليه فاستعفى، وكان يُفتي الناس قبل مبعث داود عليه السلام، فلما بُعث داود امتنعَ عن ذلك فقيل له: لِمَ امتنعتَ في الفُتيا يا لقمان؟ فقال: أفلا أكتفي إذ كُفيت.

وأخرجَ ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنّه ذُكرَ لقمانُ الحكيم عنده، فقال: ما أُوتي عن أهلٍ ولا مال ولا حسب ولا خصال؛ ولكنه كان رجلاً صَمْصَامةً، سكّيتاً، طويل التفكّر، عميقَ النظر، لم ينمْ نهاراً قطُّ، ولـم يـره أحـدٌ يبـزق، ولا يتنحنـحُ، ولا يبـول، ولا يتغـوّط، ولا يغتسـل، ولا يعبث، ولا يضحك قطُّ وكان لا يُعيدُ منطقاً نطقهُ إلاّ أن يكونَ حكمةً يُستعادها، وكان قد تزوّج وولد له أولاد، فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان، ويأتي الحكماء لينظر ويتفكّر ويعتبرَ، فبذلك أُوتي ما أوتي.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» وابن جرير عن عمر بن قيس رضي الله تعالى عنه قال: مرّ رجلٌ بلقمانَ عليه السلام والناس عنده، فقال له: ألست عبدَ فلان؟ فقال له: بلى. فقال: ألستَ الذي كنتَ ترعى عند جبل كذا؟ فقال له: بلى. فقال له: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: تقوى الله تعالى، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السكوت عما لا يعنيني.

---

(١) صفحة ٩٥.

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة رحمه الله تعالى قال: كان لقمان عليه السلام أهونَ مملوكٍ على سيّده.

وإني أنقل من كتاب «الخيرات الحسان في تاريخ الحبشان» بدون الإسناد والأثبات التي نقل عنها، وليرجع إليه من أرادها. وأنقلُ ما أراه موافقاً، وأترك البعض، وأصدِّرُ كلَّ جملةٍ مستقلَّةٍ بروايتها بـ «قال»:

قال لقمان الحبشي لابنه باران الحبشي: يا بُنيَّ، عليك بمجالس العلماء، واستمع كلامَ الحكماء؛ فإن الله تعالى يُحيِيْ القلبَ الميت بنورِ الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.

وقال لابنه: يا بُنيَّ، ارجُ الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخفِ الله خوفاً لا تيأس فيه من رحمته. فقال له: يا أبتاه، وكيف أستطيع ذلك، وإنما لي قلبٌ واحد؟ فقال له: المؤمن هكذا له قلبان، قلب يرجو به، وقلب يخاف به.

يا بُنيَّ، أكثر من قول: ربِّ اغفر لي، فإن لله تعالى ساعةً لا يردّ فيها سائلاً.

وقال لابنه: يا بُنيَّ، حملتُ الحجارةَ والحديد، والحمل الثقيل فلم أحملْ شيئاً أثقل من جار السوء.

يا بُنيَّ، إني قد ذقت المرَّ كلَّه فلم أذق شيئاً أمرّ من الفقر.

وقال: يا بُنيَّ، إنَّ العمل لا يُستطاع إلاّ باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله.

يا بني، إذا جاءك الشيطان من قِبَلِ الشكِّ والريبة فاغلبه باليقين والنصيحة، وإذا جاءك من قِبَلِ الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة. وإذا جاءك من قِبَلِ الرغبة والرهبة فأخبره أنَّ الدينا مُفارقة متروكة.

وقال: من كذب ذهب ماءُ وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمُّه، ونقلُ الصخور من مواضعها أيسرُ من تفهيم من لا يفهم.

وقال لابنه: يا بُنيَّ، لا يكنْ رسولُك جاهلاً بل إن لم تجد حكيماً فكنْ

رسول نفسك، يا بُني، إيّاك والكذبَ فإنّه شهي كلحم العصفور، ولكنّه عمّا قليل يقلي صاحبه، يا بُني، احضرِ الجنائز ولا تحضر العرسَ فإنَّ الجنائزَ تذكّرُ الآخرة والعرس يشهّيك الدنيا، يا بني، لا تأكل شِبعاً على شِبع فإنَّك إن تُلقه للكلب خيرٌ من أن تأكله، يا بُني، لا تكن حلواً فتُبلع، ولا مرًّا فتلفظ.

وقال: يا بُنيَّ، لا تكن أعجزَ من هذا الديكِ الذي يصوّتُ بالأسحار وأنت نائمٌ على فراشك.

وقال: يا بني، لا تؤخّر التوبةَ، فإنَّ الموت يأتي بغتة.

وقال: يا بُني، لا ترغب في ودِّ الجاهل فيرى أنَّك ترضى عملَه، ولا تتهاونْ بمقت الحاكم فيزهد فيك.

وقال: يا بُني، لا تنكح أَمَةَ غيرك فتورث بنيك حزناً طويلاً.

وقال: يا بني، اتقِ الله ولا تُرِ الناس أنَّك تخشى اللهِ ليكرموكَ بذلك وقلبُكَ فاجر.

وقال: يا بني، ما ندمتُ على الصمت قطُّ، وإن كان الكلامُ من فضَّة كان السكوت من ذهب.

وقال: يا بُنيَّ، اعتزل الشرَّ كيما يعتزلُكَ؛ فإنّ الشرَّ للشر خلق.

وقال: يا بني، إيّاك وشدةَ الغضب؛ فإنَّ شدَّةَ الغضب ممقتةٌ لفؤاد الحكيم.

قال: يا بني، اختبرِ المجالسَ، فإذا رأيتَ المجلسَ يُذكر اللهُ عزَّ وجلَّ فيه، فاجلس معهم فإنَّكَ إنْ تكُ عالماً ينفعك علمُكَ، وإن تكُ غبيًّا يعلّموك، وإنْ يطلعِ الله عز وجل عليهم برحمةٍ تصبْكَ معهم، يا بني، لا تجلس في المجلس الذي لا يُذكر فيه اللهُ؛ فإنَّكَ إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكُ غبياً يزيدوك غباوةً، وإن يطّلع اللهُ عليهم بعد ذلك بسخطٍ يصبْكَ معهم.

يا بني، لا يغيظنَّكَ امرؤٌ رحبُ الذّراعين يَسفكُ دماءَ المؤمنين فإنَّ له قاتلاً لا يموت.

وقال: يا بُني، لا يأكل طعامَك إلاّ الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

ومكتوب في حكمة لقمان: لتكن حكمتُك طيِّبةً، وليكن وجهُك بسيطاً، تكنْ أحبَّ إلى الناس ممّن يعطيهم العطاء.

وقال: يا بُني، إنّ الدنيا بحرٌ عميق، وقد غرق فيها ناسٌ كثير فاجعل سفينتَكَ فيها تقوى الله، وحشوَها الإيمان بالله، وشراعَها التوكُّلَ على الله، لعلك تنجو ولا أراك ناجياً.

وقال: يا بُني، إنَّ الحكمة أجلستِ المساكين مجلسَ الملوك.

وقال: يا بُني، جالسِ الصَّالحين من عباد الله فإنَّكَ تُصيبُ بمجالستهم خيراً، ولعلَّه أن يكون آخرَ ذلك أن تنزل عليهم الرحمةُ فتصيبك معهم، يا بُني، لا تجالسِ الأشرار فإنّه لا يصيبك من مجالستهم خيرٌ ولعلّه أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم العقوبة فتصيبك معهم.

وقال: يا بُني، إذا انتهيت إلى نادي قومٍ فارمهم بسهم الإِسلام - أي السَّلام - ثم اجلسْ في ناحيتهم، فإن أفاضوا في ذكرِ الله فاجلسْ معهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحوّلْ عنهم.

وقال: يا بُني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك؛ فإنَّ الله يُحيي القلوبَ الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرضَ الميتة بوابل السماء. إنَّ القلب ليحيا بالكلمة من الحكمة، كما تحيا الأرضُ بوابل الرحمة.

وقال: يا بُني، امتنع ممّا يخرج من فيك، فإنَّكَ ما سكتَّ سالمٌ، وإنما ينبغي لك من القول ما ينفعك.

وقال: يا بُني، لا تتعلّم ما لا تعلم حتى تعمَلَ بما تعلم.

وقال: يا بُنيَّ، إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه فآخه، وإلا فاحذرْه.

وقال: يا بُني، إنك مذ نزلتَ إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدَارٌ أنت إليها تسير أقربُ من دارٍ أنت عنها تباعد.

وقال: يا بُني، عوّدْ لسانك أن يقولَ: اللّهُمَّ، اغفر لي، فإن لله ساعة لا يرد فيها الدعاء.

وقال: يا بُني، إيّاك والدَّيْنَ، ؛ فإنَّه ذلٌّ بالنهار وهمٌّ بالليل.

اهـ ما نقلته من «الجواهر الحسان».

ورُوي أنه قال: خدمتُ أربعةَ آلاف نبيٍّ، واخترت من كلامهم ثمان كلمات: إذا كنتَ في الصَّلاةِ فاحفظْ قلبَك، وإذا كنت في بيتِ الغير فاحفظ عينيك، وإن كنتَ بين الناس فاحفظ لسانَك، وإذا كنتَ على الطعام فاحفظ حلقك، واذكر اثنين وانس اثنين، أما اللّذان تذكرهما فالله والموت، وأما اللّذان تنساهما إحسانَكَ في حقِّ الغير وإساءة الغير في حقك، «روح البيان» من سور يوسف.

ورُوي أنّه قال لابنه: يا بُني، أتخافُ من النار؟ قال: نعم. قال: أتخافُ من الفقر؟ قال: نعم. قال: لو كنتَ تخافُ من النّار كما تخافُ من الفقر لنجوتَ منهما. ثم قال: أترغبُ في الجنة؟ قال: نعم. قال: أترغب في الغنى؟ قال: نعم. قال: لو عملتَ للجنَّة كما تعمل للغنى لوصلتَ إليهما جميعاً. ثم قال: أتخشى من الله؟ قال: نعم. قال: أتخشى من الناس. قال: نعم. قال: لو كنتَ تخشى من الله كخشيتك من الناس لأمنتَ دائماً. ثم قال: أتشهدُ لله بالوحدانية؟ قال: بلى. قال: إن كان قلبُك كلسانك كنتَ مؤمناً في الدنيا والآخرة.

وفي كتاب «كشف الخفا» للعلامة ابن الجراح العجلوني في الأحاديث المشتهرة:

لا تكن حلواً فتبلع، ولا مرًّا فتلفظ، وهو من حِكَم لقمان قاله لابنه، أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد» والبيهقي عن الحسن رضي الله تعالى عنه.

وفي «تفسير ابن كثير» بسورة لقمان[1] قال: هو لقمان بن عنقاء بن سدون وقد ذكره الله بأحسن الذكر، وإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفقُ الناس عليه وأحبُّهم إليه فهو حقيقٌ أن يمنحَهُ أفضلَ ما يعرف، ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبدَ اللهَ وحده ولا يُشركَ به شيئاً.

ثم ذكر كثيراً ممّا ذكرته وقال: قال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عياش القتباني عن عمر مولى غفرة قال: وقف رجلٌ على لقمان الحكيم فقال: أنت لقمان؟ أنت عبد بني الحسحاس؟ قال: نعم. قال: أنت راعي الغنم؟ قال: نعم. قال: أنت الأسود؟ قال: أما سوادي فظاهرٌ؟ فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطءُ الناسِ بساطكَ، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك، قال: يا بن أخي، إن أصغيتَ إلى ما أقول لك كنتَ كذلك. قال لقمان: غضّي بصري، وكفِّي لساني، وعفَّةُ طعمتي، وحفظي فرجي، وقولي بصدقٍ، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيَّرني إلى ما ترى.

وقال: فهذه وصايا نافعة جداً وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم، وقد رُوي عنه من الحِكم والمواعظ أشياءُ كثيرة فلنذكرْ منها أنموذجاً ودستوراً إلى ذلك.

وبسنده إلى الأمام أحمد عن ابن عمر قال: أخبرنا رسول الله ﷺ قال: إنَّ لقمانَ الحكيم كان يقول: إنّ اللهَ إذا استودعَ شيئاً حفِظَه.

وعن القاسم بن مُخيمرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بُني، إيّاك والتقنّع فإنه مخوفة بالليل مذمّةٌ بالنهار».

وبسنده إلى حفص بن عمر قال: وضع لقمان جراباً من خردلٍ إلى جانبه، وجعل يعظُ ابنه عظة، ويخرج خردلةً حتى نفد الخردلُ، فقال: يا بُني، لقد وعظتُكَ موعظةً لو وُعِظَهَا جبلٌ تفطَّرَ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٤٤.

قال: فتفطر ابنه.

وبسند أبي القاسم الطبراني إلى ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اتخذوا السودانَ؛ فإنّ ثلاثةً منهم من سادات أهل الجنة: لقمان الحكيم، والنجاشي، وبلال المؤذن» قال الطبراني: أراد الحبش.

قلت: وهذا الحديث ذكره في «الجامع الصغير» برمز ابن حبان في «الضعفاء» والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس. قال المناوي ما نصه(١): قال الهيثمي بعد عزوه الطبراني: فيه أبينُ بن سفيان، وهو ضعيف، وقال غيره: فيه أيضاً أحمد بن عبد الرحمن الحراني، أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال أبو عَروبة: ليس بمؤتمن على دينه عن أبين بن سفيان المقدسي.

قال في «اللسان» عن الدارقطني: ضعيف له مناكير، وقد أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» وأقرّه عليه المؤلف في «الكبير» لكن نازعه في «مختصر الموضوعات» على عادته، وبالجملة فإنْ سلم عدم وضعه فهو شديد الضعف جداً.

فإن قلت هذا يعارضه خبر: «إيّاكم والزنجَ»، وخبر «اجتنبوا الزنجَ» وخبر «اجتنبوا هذا السَّوادَ فإنّه خلقٌ مشوّه» وخبر «إنما الأسود لبطنه ولفرجه» قلت: كلا، روى الديلمي بسندٍ ضعيف عن ابن عمرَ مرفوعاً: من أدخل بيته حبشياً أو حبشية أدخلَ اللهُ بيتَه بركة ولقد صنف المؤلف كتاباً في فضل الحبشان سماه «رفع شأن الحبشان» استوعب فيه الأحاديثَ الواردة في ذلك.

قال: وروى البيهقي عن الشافعي حديثاً عن لون الحبشان، قال: ومن الناس من يفضله على غيره. قال ابن الجوزي: والسواد لون أصلي لكنّا روينا أن بني نوحٍ اقتسموا الأرضَ فنزل بنو سام سرة الأرض، فكانت فيهم الأدمة والبياض، وبنو يافث الشمال والصبا فكانت فيهم الحمرة والشقرة، وبنو حام

---

(١) فيض القدير ١/ ١١٠.

مجرى الجنوب والدَّبُور فتغيرت ألوانهم.

وما رُوي أنَّ نوحاً انكشفتْ عورتُه فلم يغطِّها حامٌ فدعا عليه فاسودَّ، لم يثبت. انتهى من «فيض القدير».

وفي «روح البيان»[1] من حِكَم لقمان بسورة الحج [٥٧] تحت قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ قال: رُوي أنَّ لقمان وعظَ ابنَه وقال: يا بُني، إنْ كنتَ في شكٍّ من الموت فادفعْ عن نفسك النوم ولن تستطيع ذلك، وإن كنت في شكٍّ من البعث، فإذا نمت فادفع عن نفسك الانتباه، ولن تستطيع ذلك فإنك إذا فكَّرتَ في هذا علمت أنَّ نفسَكَ بيد غيرِك، فإنَّ النوم بمنزلة الموتِ، واليقظة بعد النوم بمنزلة البعث بعد الموت.

وفي «روح البيان»[2] بسورة لقمان [١٣] تحت قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ ما نصه: وكان ابنه وامرأته كافرَيْنِ فما زال بهما حتى أسلما، بخلاف ابن نوحٍ وامرأته، فإنهما لم يسلما، وبخلاف ابنتي لوط وامرأته، فإنَّ ابنتيه أسلمتا دون امرأته، ولذا ما سلمت فكانت حجراً في بعض الروايات اهـ.

وفي «روح البيان»[3] بسورة الحجرات [٩] تحت قوله تعالى: ﴿ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا ﴾ قال: قال لقمان: يا بُني، كذب من يقول إنَّ الشرَّ يُطفيءُ الشرَّ، فإنْ كانَ صادقاً فليوقد نارين، ثم لينظر هل تُطفيءُ إحداهما الأخرى، وإنَّما يُطفيءُ الماءُ النارَ اهـ.

وفي كتاب «الإحياء» للإمام الغزالي في كتاب رياضةِ النَّفس وتهذيب الأخلاق قال ابنُ لقمان الحكيم لأبيه: يا أبتِ، أيُّ الخصالِ من الإنسان خير؟ قال: الدِّينُ، قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدِّينُ والمال. قال: فإذا كانت ثلاثاً؟ قال: الدِّينُ، والمالُ، والحياءُ. قال: فإذا كانت أربعاً؟ قال: الدِّينُ

---

(١) روح البيان ٤/ ٤٦.
(٢) روح البيان ٤/ ٥١٣.
(٣) روح البيان ٥/ ٦٧٧.

والمالُ والحياءُ وحُسن الخُلُق. قال: فإذا كانت خمساً؟ قال: الدِّينُ والمالُ والحياءُ وحُسن الخُلُق والسَّخاءُ. قال: فإذا كانت ستاً؟ قال: يا بُني، إذا اجتمعتْ فيه الخمسُ خصالٍ فهو نقيٌّ تقي، ولله وليٌّ، ومن الشيطان بريٌّ. اهـ.

وفي كتاب عندي مكتوبٌ عليه وصية لقمان لولده عند وفاته اقتطفت منه ما يأتي: إيَّاكم والمعاصي؛ فإنها تُحلُّ بأهلها البوارَ، وتمحقُ منهم الآثار، وتجعلُهم مثلاً في الأقطار. واعلموا أنَّ الدهرَ صنفان: صنفٌ رحا وصنفٌ غلا، والناس اثنان: رجلٌ لك، ورجل عليك، والأيَّامُ يومان: يوم لك، ويومٌ عليك.

يا بُنيّ، اصحبوا الناس بالوقار، وتزوَّجوا الأبكار، وإيّاكم ومصاحبةَ السُّفهاء؛ فإنَّ صحبتَهُم ندامةٌ، ومعاملتَهُم غرامة.

يا بُنيَّ، صاحبوا الحكماء الذين جرت بهم التجارب، وعركتهم المِحنُ والعجائب.

واعلموا أنَّ الكلامَ أُنثى والردَّ ذكر فإذا اجتمعا فلا بدَّ بينهما من نِتاج.

ومَن هابَ الرِّجالَ تهيَّبُوه	ومن حقرَ الرِّجالَ فلن يُهابا
ومن قضتِ الرِّجالُ له حقوقاً	ولم يقضِ الحقوقَ فما أصابا
تُحبُّ مكارمَ الأخلاقِ روحي	وأُكبِرُ أنْ أَعيبَ وأنْ أُعابا
سليمُ العرضِ من تركَ الجوابا	ومن هَدَرَ الجوابَ فقد أجابا
ومن صَحِبَ الملوكَ أفادَ منهم	ومن صَحِبَ الزَّمانَ رأى عُجابا

يا بُني، اللجاجةُ وقاحةٌ، والنشاط بضاعة، والعلمُ زينٌ، والحليم قرَّةُ عينٍ.

واعلم أنَّ الناسَ ليس كلهم سواء:

بنو آدم كالنَّبْتِ	ونبتُ الأرضِ ألوانُ

يا بُني، لا تصاحبْ صاحباً إلاّ إذا قلتَ: نعم، قال: نعم. وإذا قلت: لا. قال: لا.

يا بُني، إذا اتخذت صاحباً فلا تُمازحْه إلا بما يَسرُّه، واجتنبْ ما يضرُّه،

ولا تفرطْ في المزاحِ فإنَّ كثرةَ المُزاحِ تفرِّقُ بين المُتحابِّين؛ لأنَّ أوله فَرَحٌ وأوسطه تَرَحٌ وآخره قَرَحٌ، يا بُني، مَثَلُ الصديق والمُزاح مثلُ الطعام إنْ أكلتَ منه ما يكفيك نفعَكَ، وإنْ أكثرتَ منه ضرَّكَ وقطعك، وكن أشدَّ الناس من رجلَيْنِ: الصديقِ الغادر، والعدوِ الفاجر.

قيل للقمان: ما أقبحَ وجهك يا لقمان! فقال: أتعيب بهذا على النقش، أم على النقّاش؟.

وفي «روح البيان»[1] بسورة يس[٤٧] تحت قوله تعالى: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ ما نصُّه: وكان لقمان يقول إذا مرَّ بالأغنياء: يا أهلَ النَّعيمِ، لا تنسوا النَّعيمَ الأكبر، وإذا مرَّ بالفقراء يقول: إيَّاكم أن تُغْبَنُوا مرَّتين.

ورُوي أنَّه لما حضرته الوفاةُ صار يبكي بكاءاً شديداً، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: لستُ على الدنيا أبكي، وإنَّما أبكي على ما أمامي من الشّقةَ البعيدة، والمفازةِ السَّحيقة ـ أي الطويلة ـ والعقبة الكؤود ـ أي الصعبة ـ والزاد القليل، والحمل الثقيل، ولست أدري أَيحطُّ عني حين أبلغُ الغاية ـ أي وقت الحساب ـ قال ابن الجوزي: قد بلغني أنَّ قبرَه فيما بين مسجدِ الرَّملةِ وموضع سوقها اليوم. أي في زمنه. رحمه الله.

وحيث ذكرنا ما أردنا عن لقمان أحد الثلاثة الذي فضَّلهم رسولُ الله ﷺ من الحبشان، فنذكر شيئاً عن الثاني وهو النَّجاشيُّ رضي الله عنه من كتاب «الجواهر الحسان»[2] للحفني القنائي مُلخصاً:

في سنة ستٍ من الهجرة ـ أي سنة ٦٢٧ من الميلاد ـ بعث رسولُ الله ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه صحبة عَمرو بن أمية الضَمْري بكتابٍ إلى النجاشي أصحمةَ ملكِ هذه البلاد يدعوه فيه إلى الإِسلام، أثبتنا صورته مع جوابه في «كتب النبي ﷺ» ولما تُوفِّي رضي الله عنه سنة تسعٍ من الهجرة في رجب ـ ٦٣٠ من الميلاد ـ وعلمَ بذلك رسول الله ﷺ من الوحي الإِلهي، قال

---

(١) روح البيان ٥/ ٤٢.
(٢) صفحة ١٥٧.

لأصحابه كما في صحيح البخاري ومسلم[1]: «قد توفِّي اليومَ رجلٌ صالحٌ من الحَبَشَة، فهَلُمُّوا، فصلُّوا عليه» فخرج، وخرجت الصحابة خلفه إلى بقيع بطحان، فكُشف له إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي - أي نعشه - وهو بها، فصلى عليه بهم، وكبَّر أربع تكبيرات، واستغفر له.

* * *

هاجر عليها السلام زوج إبراهيم أبي الأنبياء كانت جارية من أهل مصر قبطية، أُهديت لسارة عليها السلام، وكانت هاجر جارية ذات هيئة، فوهبتها سارة لإبراهيم وقالت: إني أراها امرأةً وضيئة فخذها؛ لعلَّ الله يرزقك منها ولداً، وكانت سارةُ قد مُنعت الولد، فلم تلد لإبراهيم حتى أسنَّت، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يهبَ له من الصالحين، وأُخِّرتِ الدعوة حتى كبر إبراهيم، وعقمت سارة، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر، فولدت له إسماعيل عليه السلام وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول إذا حدَّث بحديثها: فتلك أمُّكم يا بني ماء السماء. ومن أجلها قال رسول الله ﷺ: «إذا فتحتم مصرَ فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمةً ورحماً».

وبعد أن بنى إبراهيم عليه السلام البيتَ العتيق - ولم يكن هناك إلا هو وإسماعيل وهاجر عليهم السلام - خرج، وخلّفَ إسماعيل وهاجر، فقالت هاجر: يا إبراهيم إلى من تكلُنا؟ قال: إلى الله. قالت: انطلق فإنه لا يضيِّعنا. قال: فعطش إسماعيل عطشاً شديداً، فصعدت هاجر الصفا، فنظرت فلم ترَ شيئاً، ثم أتت المروة، فنظرت فلم تر شيئاً، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم ترَ شيئاً، حتى فعلت ذلك سبع مرّات، فقالت: يا إسماعيل، مُتْ حيث لا أراك. فأتته وهو يفحص برجله من العطش، فناداها جبرائيل، فقال: من أنتِ؟ قالت: أنا هاجر، أم ولد إبراهيم. قال: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا

---

(1) أخرجه البخاري ٣/١٨٦ (١٣٢٠) في الجنائز، باب الصفوف على الجنازة، ومسلم (٩٥٢) في الجنائز باب التكبير على الجنازة، والنسائي ٤/٦٩ باب الصفوف على الجنازة.

إلى الله. قال وكلكما إلى كافٍ. قال: ففحص الغلام الأرض بأصبعه فنبعت زمزم، فجعلت تحبس الماء، فقال: دعيه، فإنها رواء[1].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ١/٢٥١ وما بعدها.

بعض من مسَّه الرق من الصحابة والموالي من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

وإني أكتفي بالترجمة المختصرة عمَّن أذكرهم من الرِّجال، لأن تراجمهم ملأت الصحف قديماً وحديثاً، وإنّي لا أعدُّ الإِفاضة في تراجمهم إلّا إضاعةَ للوقت، أو حبًّا للشهرة ممّن يؤلفون القصص في تراجم كبار الرجال الذين هم في غنىً عن ترجمة المتأخرين، ويجمعون في تراجمهم الغثَّ والسمين، والصحيح والسقيم، ويضخِّمون به كتبَهم ليحشروا أنفسَهم بين المؤلفين والمصنِّفين بما يزوقونه من العبارات الفارغة، ولا نفيض في ترجمةِ المَشهورين لأنَّ شهرتَهم تغني عن بيانهم، وإنّما نقصدُ بيانَ شرفِ الأرقَّاء بمن وجد فيهم من هذه الطبقات. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم.

بلال الحبشي رضي الله عنه فهو بلال بن رباح الحبشي، وأمه حمامة، اشتراه أبو بكر رضي الله عنه من المُشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، كان أميةُ بنُ خلف لعنه الله يخرجه إذا حميتِ الظهيرةُ فيطرحه على الأرض في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا يزال على ذلك حتّى يموت، أو يكفر بمحمَّدٍ. فيقول وهو في ذلك: أحدٌ أحد، فمرَّ به أبو بكر فاشتراه منه بعبد له أسود جَلْد، وأعتقه، فلزم النَّبيَّ ﷺ وأذَنَ له، وشهد معه المشاهد كلَّها، وآخى النَّبي ﷺ بينه وبين أبي عُبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النَّبيِّ ﷺ مجاهداً إلى أن مات بالشَّام سنة عشرين.

ذكره في «الإِصابة»[1].

* * *

---

(١) الإِصابة ١/ ١٧٠ (٧٣٢).

وأما الرابع ممّن شهد لهم رسولُ الله ﷺ من الحبشة فهو مِهْجَع - بكسر أوله وسكون الهاء بعدها جيم مفتوحة، ثم عين مهملة - هو مولى رسولِ الله ﷺ ذكره الحاكم في «صحيحه» من طريق الهقل بن زياد عن الأوزاعي حدَّثني أبو عمار عن واثلة بن الأسقع رفعه: «خيرُ السُّودان لُقمان وبلال ومِهجَع مولى رسول الله ﷺ».

قلت: وأخشى أن يكون الذي بعده وهو:

❊ ❊ ❊

مِهْجَع العكِّي مولى عمرَ بن الخطاب، قال ابن هشام أصله من عكٍّ، فأصابه سباء فمنّ عليه عمرُ فأعتقه، وكان من السابقين إلى الإسلام، وشهد بدراً، واستشهد بها.

قال موسى بن عقبة: كان أوَّلَ من قُتل ذلك اليوم.

وذكر ابن مَنْدَةَ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنّه ممّن نزلَ فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ..﴾ [الأنعام: ٥٢]. كذا في «الإصابة»[١] لابن حجر.

❊ ❊ ❊

السيد دمشق الحبشي رضي الله تعالى عنه، قال السيد الحفني في «تاريخ الحبشان»[٢] ما نصُّه: قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه «أزهار العروس» أخرج ابنُ عساكر عن وهب بن منبّه قال: دمشقُ - أي البلدة المشهورة التي هي عاصمة الشام - بناها سيد دمشق رضي الله تعالى عنه غلامُ الخليل إبراهيمَ عليه السلام وكان حبشياً، وهبه له النّمروذ بن كنعان حين خرج إبراهيم عليه السلام من النار، فسمِّيتْ تلك البلدة باسمه، وكان الخليل عليه السلام قد جعله أميناً على كلِّ شيءٍ عنده.

❊ ❊ ❊

(١) الإصابة ٦/١٤٥ (٨٢٥٤).
(٢) الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان صفحة ١١٢.

أسلم الحبشي مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، كنيته أبو خالد، ويقال: أبو زيد، اشتراه عمُّه بمكّة سنة إحدى عشرة من الهجرة، مات في ولاية مروان بن الحكم، وله من العمر مئة وأربع عشرة سنة. انتهى منه[١]

* * *

أيمن الحبشي والد عبد الواحد بن أيمن، ومولى عبد الله المخزومي، وقيل بل هو مولى أبي عمرة، روى الحديث عن جابر، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة رضوان الله تعالى عليهم[٢].

* * *

ومنهم الحبشي القائل لصاحبه: يا قبطي، قال السُّيوطي في كتابه «أزهار العروس»: أخرج الطبراني في «معجمه الصغير» عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان لرسول الله ﷺ موليان: أحدُهما حبشي والآخر قبطي فاستبّا يوماً من الأيام، فقال أحدُهما للآخر: يا حبشي. وقال الآخر له: يا قبطي - وذلك من باب المعايرة لبعضهما - فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «لا تقولا ذلك، إنّما أنتما رجلان من آل مُحمَّدٍ» أي الآن لإِسلامكما، وتابعيتكما لي. انتهى منه[٣].

* * *

الحبشي الذي مات، وكان مولىً لرسولِ الله ﷺ، فقال ﷺ: «انظروا من بمكَّةَ من مسلمي الحبشة، فادفعوا ميراثَه لهم». انتهى منه[٤]

ثم ذكر في «تاريخ الحبشان» كثيراً منهم من أصحاب النَّبي ﷺ لكنْ لم يصرّح بالرّق لأحدٍ منهم لذا تركتهم.

* * *

---

(١) المصدر السابق صفحة ١٤٣.
(٢) المصدرالسابق صفحة ١٤٣.
(٣) المصدر السابق صفحة ١٤٥.
(٤) المصدرالسابق صفحة ١٤٦.

ثَوْبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه حتى قُبِضَ، ثم نزلَ حمصَ وله بها دار وَقْفٍ، ذُكر أنَّه تُوفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية، ذكره ابن جرير في «تاريخه»(١).

وذُكر في «نزهة المجالس» للصفوري الشافعي منقبةٌ عظيمة لثوبان رضي الله عنه أنَّه كان شديدَ الحبِّ لرسول الله ﷺ قليلَ الصبر عنه، فجاءه يوماً وقد تغيَّرَ لونُه، ونحل جسمه، فسأله فقال: يا نبيَّ الله، ما بي من وجعٍ، ولكني ذكرت الآخرة وقد مضى يومٌ ولم أركَ فيه، فاشتقت إليك، فكيف يكون حالي في الآخرة؟ فإن دخلتُ الجنَّة أكونُ مع العبيد، وأنت مع النبيّين، فلا أراك أبداً، وأنا لا أصبر عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ..﴾ [النساء: ٦٩] الآية. قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»(٢): ثوبانُ بنُ بُجْدُد ـ بموحدة مضمومة، ثم جيم ساكنة، ثم دال مهملة مكررة، الأولى مضمومة ـ اشتراه النَّبيُّ ﷺ، ثم أعتقه. وروى عن النَّبيِّ ﷺ مئةً وسبعة وعشرين حديثاً.

* * *

يسار غلام بُريدة، وساق ابنُ حجر في «الإِصابة»(٣) السند إلى بُريدة بن الحصيب الأسلمي يخبر أنَّه بعثَ غلامَه يساراً مع النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر حين مرَّا عليه في هجرتهما، قال: فلمّا حضرتِ الصلاةُ استقبل رسولُ الله ﷺ القبلةَ وقام أبو بكر عن يمينه، فقمتُ عن يسارِه، فدفع رسول الله ﷺ في صدرِ أبي بكر فأخّرهُ وأخّرني فصففنا وراءَه، وصلينا، قال عمر بن شبّة: وفيه عبد العزيز بن عمران كثيرُ الغلط.

* * *

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٦٩.
(٢) ١/ ١٤٠.
(٣) الإِصابة ٦/ ٣٥٠ (٩٣٣١).

حُميد بن أبي حُميد تيرويه مولى طلحةَ الطَّلحات، من ثقات التابعين، كان قصيراً طويلَ اليدين، فسمي بالضِّد، أو لطول يديه، مات سنة ١٤٣، ذكره في «شرح القاموس» بمادة (طول).

* * *

مُغيث زوجُ بَريرة، وهو مولى أبي أحمد بن جحش الأسدي، ثبت ذكره في «صحيح البخاري» من طريق خالد الحذَّاء عن عكرمةَ أنَّ زوج بريرةَ كان عبداً يُقال له مُغيث، كأنِّي أنظرُ إليه يطوفُ خلفَها يَبْكي، ودموعُهُ تسيلُ على لحيته، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ألا تعجب من حبِّ مُغيث بريرة، ومن بُغض بريرة مغيثاً...» الحديث. وتمام ترجمتهما في «الإِصابة»[1] وغيره..

* * *

أبو المُدِلَّة، ذكره الحافظ المزيُّ في كتابه «تهذيب الكمال»[2] في الكنى قال: أبو مُدِلَّة المدنيُّ، مولى عائشة روى عن أبي هريرةَ. روى عنه: أبو مُجاهد الطائيُّ. وثَّقه ابنُ حبان، روى له الترمذي في «جامعه» وابن ماجه في «سننه».

* * *

تفتخر عبد القيس بأنَّ من مواليها صالحاً المُرِّيَّ، وهو مولى بني مُرّة من عبد القيس وكان من أهل الخير، ويذهبُ إلى شيءٍ من القدر، مات بالبصرة وعقبه بها.

وبأنَّ من مواليها حسَّان بن أبي سنان القنَّاد، كان من أورعِ أهلِ البصرة.

وبأنَّ من مواليها أبان بن أبي عيّاش الفقيه، ويكنى أبا إسماعيل.

وبأن من مواليها غَالباً القطان، وكان ديِّناً فاضلاً. قال البجليُّ: هو مولى آل عبد الله بن عامر بن كريز.

---

(١) الإِصابة ٦/ ١٣٠ (٨١٦٨).
(٢) تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٦٩.

ومن مواليهم عبد الواحد بن زياد المعروف بالثقفي، ليس بثقفيٍّ، وهو مولىً لعبد القيس.

ومن مواليهم رئاب بن البراء من أنفسهم[1]

* * *

أسامة وأبوه زيد بن حارثة مولى النَّبيِّ ﷺ، قال القسطلاني في المناقب عند شرحه حديث أسامة[2]: وفي الحديث جواز إمارة المولى، وتولية الصغير على الكبير، والمَفضول على الفاضل، لأنه كان في الجيش الذي كان عليهم أسامة أبو بكر وعمر.

وهو من بني كلب، أُسر في الجاهلية، فاشتراه حَكيم بن حِزام لعمّته خديجة رضي الله عنها، فاستوهبه النَّبيُّ ﷺ منها، وخيَّره النَّبيُّ ﷺ لما طلب أبوه وعمُّه أن يفدياه بين المُقام عنده أو يذهب معهما، فقال: يا رسولَ الله، لا أختارُ عليك أحداً أبداً اهـ.

* * *

جبر مولى بني عبد الدار، كان بمكّة يهودياً، فسمع النَّبيَّ ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم، وكتم إسلامَه، ثم أطلع مواليه على ذلك فعذّبوه، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة شكى إليه ما لقي، فأعطاه ثمنه، فاشترى نفسه وعتق، واستغنى، وتزوّج امرأةً ذات شرف من بني عامر، وبه وبعمار نزل قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، بعد أن أخذهما المشركون وعذّبوهما حتى كفرا[3].

* * *

جبر بن عبد الله القبطي مولى بني غفار، ويُقال مولى أبي نضرة الغفاري،

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٤٢٠.
(٢) فتح الباري ٧/ ٨٧. مناقب زيد بن حارثة.
(٣) الإِصابة ١/ ٢٣١ (١٠٦٥).

كان رسولَ المقوقس بمارية إلى رسولِ الله ﷺ، مات سنة ثلاث وستين[1].

* * *

حاطب بن أبي بلتعة العبسي رضي الله عنه، ولد في زمن رسول الله ﷺ، وأصله من الأزد وهو حيٌّ باليمن، وأعتقه عُبيد الله بن حميد بن زهير الذي قتله عليٌّ رضي الله عنه يوم بدر كافراً، وكان حاطب يبيع الطعام، ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان من المهاجرين، وشهد بدراً وبيعة الرضوان، ونزلت فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة: ١]. وذلك لما كتب إلى مكّة يخبرهم بإرادة رسولِ الله ﷺ غزوهم سنة ثمان من الهجرة، وأرسل الكتاب مع سارة المغنية مولاة بني عبد المطلب، وأعطاها عشرة دنانير وبُردة، وكانت جاءت للمدينة مستجديةً، ونزل جبريل عليه السلام وأخبرَ رسولَ الله ﷺ بخبر الكتاب، فأرسل علياً وعماراً وطلحةَ والزبيرَ والمقداد وأبا مرثد فأدركوها بروضة خاخ كما أخبرهم بذلك رسولُ الله ﷺ، وأخذوا الكتاب، ووافوه به، وقد تاب الله عليه.

رُوي أن حاطباً لما سمع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ غشي عليه من الفرح بخطاب الإِيمان، لما علم أن الكتاب المذكور ما أخرجه عن الإِيمان لسلامة عقيدته، ودلَّ قوله ﴿ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ على إخلاصه[2].

* * *

أبو بَكْرَةَ الحبشي رضي الله تعالى عنه وهو نُفيع بن مسروح الحبشي مولى الحارث بن كلدة الثقفي، وأمُّه سُمية جارية الحارث أيضاً، أسلمَ وعجزَ عن الوصول إلى رسول الله ﷺ إلى أن حُوصر الطائفُ فنزل إلى النَّبيِّ ﷺ من على سُوره في بَكْرَةٍ فكُني أبا بَكْرَةَ من أجل ذلك، وأعتقه ﷺ وهو معدودٌ من مواليه، روى عن النَّبيِّ ﷺ مئة واثنين وثلاثين حديثاً، اتفق الشيخان على ثمانيةٍ منها،

---

(١) الإِصابة ١/ ٢٣٠ (١٠٦٠).
(٢) روح البيان ٦/ ٢٤٢.

وانفرد البخاري بخمسة، ومسلمٌ بحديثٍ واحد، وهو الذي شهد على المُغيرة ابن شعبة بالزِّنا وبتَّ شهادَته هو واثنان معه وكان رابعُهُم زياداً فقال في شهادته: إنّي رأيت استاً ينبو ونَفَساً يعلو وساقين كأنهما أذنا حمارٍ ولا أعلمُ ما وراء ذلك، فاضطر عمر عند ذلك لحدِّ أبي بكرة وصاحبيه حدَّ القذف، وكان كثيرَ العِبادةِ مُداوماً عليها إلى أن مات بالبصرة رضي الله تعالى عنه سنة إحدى، وقيل اثنتين وخمسين من الهجرة وتمامه في «الجواهر الحسان»[1] للقنائي رحمه الله.

* * *

شُقران الحبشي مولى رسولِ الله ﷺ، واسمه صالح بن عدي، وشقران بضم الشين المعجمة لقبٌ شُهر به. كان عبداً حبشياً لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه، فأهداه لرسولِ الله ﷺ، وقيل: بل اشتراه وأعتقه، وقيل: بل ورثه ﷺ من أبيه وأعتقه بعد بدرٍ، وكان ممّن شهدها، وشهدَ غُسْلَ رسول الله ﷺ، وهو الذي طرح القطيفةَ تحت رسول الله ﷺ في قبره، وانقرضَ ولده، مات آخرهم في خلافة هارون الرَّشيد والله أعلم. من «الجواهر الحسان»[2] مختصراً.

* * *

ذو مخمر ـ بميمين، وقيل بدل الثانية باء ـ ابنُ أخي النجاشي أصحمة ملك الحبشة، قدم على النَّبيِّ ﷺ مع من قَدِمَ عليه من الحبشة صحبة جعفر بن أبي طالب، ولزم النَّبيَّ ﷺ ملازمةً كليَّةً حتى عدَّهُ بعضُ العلماء من مواليه، وقد نزل ذو مَخمر الشَّام، ومات بها حدود الستين بعد الهجرة. من «الجواهر الحسان»[3].

* * *

خالد بن أبي الحواري الحبشي رضي الله عنه جامع زوجته، وداهمهُ الموت

---

(١) الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان تأليف أحمد الحفني القنائي ١٢٨ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ١٣٠.
(٣) المصدر السابق ١٣١.

فلم يغتسل، فأُوحي أن يُغسّلوه غُسلين غسلٌ للجنابة وغسل للموت[1].

* * *

المهاجر مولى أم سلمة، يكنى أبا حذيفة، صحب النَّبيَّ ﷺ، وخدمه وشهدَ فتحَ مصر واختطَّ بها، ثم تحوَّلَ إلى ملحاء فسكنها إلى أن مات. ذكره أبو سعيد بن يونس، وأخرج الحسن بن سفيان وابن السكن ومحمد بن الربيع الجيزي، والطبري، وابن منده من طريق بكير مولى عمرة سمعت المهاجر يقول: خدمتُ رسولَ الله ﷺ سنينَ فلَمْ يقلْ لي لشيءٍ صنعته لِمَ صنعتَه؟ ولا لشيءٍ تركته لِمَ تركته؟. من «الإِصابة»[2].

* * *

عامر بن فهيرة التيمي كان مُولداً من الأزد، مولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما اشتراه من الطُفيل بن عبد الله بن سَخْبَرة وأعتقه، وهو ممن قُتل ببئر مَعونة، قتلهم عامر بن الطُفيل اللعين، وقد رآه قد رُفع إلى السَّماء ثم أُعيد إلى الأرض، وروى البخاري أنَّ عامرَ بنَ الطفيل سألَ عَمرَو بن أُمية عمَّن رُفع بين السَّماء والأرض. فقالوا: عامرُ بن فُهيرة. ذكر ذلك في «الإِصابة»[3].

* * *

سالم بن مَعْقِل ـ بفتح الميم، وسكون العين، وكسر القاف ـ من أهل فارس، من فُضلاء الصحابة الموالي وكبارِهم، هاجرَ إلى المدينة وهو مولى امرأةِ أبي حُذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف الأنصارية، تبنّاه أبو حذيفة لما تزوّجها، وصار من الأنصار لأنّه مولاهم، واستُشهد باليمامة رضي الله عنهم.

قال ﷺ: «استقرِئوا القرآنَ من أربعة: من عبد الله بن مسعود فبدأ به،

---

(١) المصدر السابق ١٣٤.
(٢) الإِصابة ٦/١٤٥ (٨٢٥٢).
(٣) الإِصابة ٤/١٦ (٤٤٠٨).

وسالم مولى أبي حُذَيفَة، وأُبيِّ بنِ كعب، ومعاذ بنِ جبل»[١].

بلال بن رباح - بفتح الراء، والموحدة، وبعد الألف حاءٌ مهملة - وأمُّه حمامةُ، كان صَادق الاسلام مولى لبعض بني جُمَح من الحبشة، اشتراه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه بخمس أُواقٍ فصار مولىً له.

لما توفّي النّبيُّ ﷺ، أرادَ بلالُ أن يخرجَ من المدينة فمنعَهُ أبو بكر رضي الله عنه، أرادهُ أن يؤذّن بالمسجدِ، فقال لأبي بكر: لا أُريد المدينةَ بعد رسول الله ﷺ، إن كنتَ إنّما اشتريتني لنفسك فأمسِكني، وإنْ كنتَ إنّما اشتريتني لله فدعني وعملَ الله. فأعتقه أبو بكر رضي الله عنه، فكان عمرُ يقول: أبو بكر سيِّدُنا وأعتقَ سيِّدَنا.

وقال أبو بكر لبلال: أنشدك الله وحقّي. فأقامَ معه حتى توفّي، فأذنَ له عمر، فتوجّه إلى الشام مُجاهداً، فتوفّي بها في طاعون عَمَواس سنة عشرين وله ثلاثٌ وستون سنة رضي الله عنهم أجمعين.

وقال له النّبيُّ ﷺ: «سمعتُ دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة» وتمامه في البخاري والقسطلاني في المناقب[٢]، وتقدم ذكره في الأربعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «سادات السودان أربعة».

* * *

خالد بن أبي رباح الحبشي رضي الله عنه، خطب له بلال رضي الله عنه فقال: أنا بلال، وهذا أخي كنّا رقيقين فأَعتقنا الله، وكنّا عائلين فأغنانا الله، وكُنّا ضالين فهدانا الله، فإنْ تنكحونا فالحمد لله، وإن تردّونا فلا حول ولا قوّة إلا بالله، فأنكحوه وكانت الزوجة عربية من كندة وسكنا داريا من أرض دمشق رضي الله تعالى عنهما[٣].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري ٧/١٠١ (٣٧٥٨) في فضائل الصحابة باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة.
(٢) أخرجه البخاري ٧/٩٩ (٣٧٥٤) في المناقب، باب مناقب بلال بن رباح، وانظر ما قاله ابن حجر عقيب الحديث.
(٣) الجواهر الحسان ١٣٥.

أسلم الحبشي رضي الله تعالى عنه، كان يرعى غنماً ليهوديٍّ، فأتى لرسول الله ﷺ وهو محاصرٌ لبعض حصون خيبر، ومعه غنمُ سيّده، فقال: يا رسولَ الله، اعرض عليَّ الإسلام. فعرضه عليه ﷺ، فأسلمَ، ثم قال لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله إنِّي كنتُ أجيراً لصاحبِ هذه الغنم، وهي أمانةٌ عندي، فكيف أصنع بها الآن؟ فقال له رسول الله ﷺ: «اضرب وجهَها، فإنَّها ترجعُ إلى ربِّها» فقام وأخذ حَفنةً من التُّرابِ ورمى بها في وجهها، وقال: ارجعي إلى صاحبك، فواللهِ لا صحبتُكِ. فرجعت مجتمعةً كأنَّ سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصنَ، ثم تقدَّمَ إلى ذلك الحصن ليقاتلَ مع المسلمين، فأصابَهُ حَجَرٌ فقتله، وما صلّى صلاةً قطُّ، فأُتيَ به إلى رسول الله ﷺ فوضعَ خلفه، وسُجّي - أي غطيَ بشملةٍ كانت عليه - فالتفت إليه ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابه، ثم أعرضَ عنه إعراضاً سريعاً فقال أولئك النَّفرُ لرسولِ الله ﷺ: يا رسولَ الله أعرضتَ عنه - أي ما لنا نراكَ أعرضت عنه - فقال: «لأنَّ معه زوجتين من الحور العين». انتهى من «الجواهر الحسان»[1].

* * *

يسار الحبشي رضي الله عنه كان عبداً ليهوديٍّ اسمه عامر، أسلمَ عندما حاصرَ رسولُ الله ﷺ خيبرَ، واستُشهدَ بها رضي الله تعالى عنه. انتهى منه[2].

* * *

هلال الحبشي رضي الله تعالى عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ «ليدخلنَّ من هذا الباب رجلٌ ينظرُ اللهُ إليه» فدخل غلامٌ للمُغيرة بن شعبة حبشيٌّ يُقال له هلال، غائرُ العينين، ذابل الشفتين بادي الثنايا، خميصُ البطن، أحمش الساقين، أحنفُ القدمين، مهزولٌ، تعلوه صُفرة وعلى سوأته خرقةٌ، وهو يحرّكُ شفتيه بالذكر والتسبيح، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «مرحباً بهلال،

---

(١) الجواهر الحسان ١٣٥.
(٢) الجواهر الحسان: ١٣٦.

هل لك في الغداء، بل صم على ما أنت عليه وصلِّ علي يا هلال»[1]. انتهى منه[2].

❋ ❋ ❋

وحشي بن حرب، هو أبو دسمة مولى طُعيمة بن عدي، وقيل مولى جُبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، وهو المشارك بقتل مُسيلمة الكذاب يوم اليَمامة مع أحد الأنصارِ بالحربة التي قتل بها سيدنا حمزةَ رضي الله عنهما، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

وذكر السيد الحفني تمامَ ترجمته بقتلهما، وقصةَ إسلامه[3]، وقد سكن حمصَ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

❋ ❋ ❋

عاصم الحبشي رضي الله عنه وهو غلام زُرعة الشقري، وفد سيِّدُه على النَّبيِّ ﷺ وقال: يا رسولَ الله إنّي اشتريتُ هذا الغلام، وإنّي أحببتُ أن تسمّيَهُ، وتدعو له بالبركة. فقال له ﷺ: «ما اسمك أنت؟» فقال: أصرم. فقال له: «بل أنت زُرعة، فما تريده؟» أي الغلام أن يصنعَ؟ قال: أريده راعياً. فقال له رسولُ الله ﷺ: «فهو عاصم» وقبضَ ﷺ كفَّ الغلام وفي ذلك ما فيه من البركة له، رضي الله تعالى عنه انتهى. منه[4].

❋ ❋ ❋

نائل الحبشي رضي الله تعالى عنه ـ بالياء المثناة أو بالباء الموحدة ـ والد أيمن بن نائل الحبشي، روى حديثاً عن رسول الله ﷺ.

❋ ❋ ❋

---

(١) قال صاحب كنز العمال ١٣/ ٦٠٥ (٣٧٥٤٦) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «سنن الصوفية» والديلمي.
(٢) الجواهر الحسان: ١٣٦.
(٣) الجواهر الحسان: ١٣٧.
(٤) الجواهر الحسان: ١٤٠.

لقيط الحبشي وهو من موالي رسول الله ﷺ الذين بقوا إلى أيام عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. انتهى منه(١).

* * *

يسار الحبشي رضي الله تعالى عنه هو مولى المغيرة بن شعبة، قال الإمام السيوطي في كتابه: «رفع شأن الحبشان» روينا بسندنا عن ثابت البُناني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في المسجدِ، فقال لي: «يا أبا هريرة، يدخل عليَّ من هذا البابِ الساعةَ رجلٌ من السَّبعةِ الذين يدفع اللهُ عن أهلِ الأرض بهم» فإذا حبشيٌّ قد طلع من ذلك الباب أجدع على رأسه جرَّةُ ماءٍ، فقال رسول الله ﷺ: «هو هذا» ثم قال ﷺ: «مرحبا بيسار» ثلاث مرات، وكان يرشُّ المسجدَ النبوي ويكنسه. انتهى منه(٢).

* * *

رُوَيفع وهو أبو رافع مولى رسول الله ﷺ اسمه أسلم، وقال بعضُهم: اسمه إبراهيم أعتقه رسولُ الله ﷺ، وابنه البَهيُّ اسمه رافع، وأخو البهيِّ عُبيدة الله بن أبي رافع، وكان يكتب لعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم. ذكرهم ابن جرير في «تاريخه»(٣).

* * *

سلمان الفارسي وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان، ويقال إنّه من قرية رامَهُرْمُز، فأصابه أَسرٌ من بعض كَلْب، فبيعَ من بعض اليهود بناحية وادي القُرى، فكاتب اليهوديَّ، فأعانه رسولُ الله ﷺ والمسلمون حتى عَتَقَ، وقال بعضُ نسَّابة الفُرس سلمان من كور سابور، واسمه مابه بن بوذخشان ابن ده ديره. ابن جرير في «تاريخه»(٤).

* * *

(١) الجواهر الحسان: ١٤٠.
(٢) الجواهرالحسان: ١٤١.
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ١٧٠.
(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٧١.

سَفينة مولى رسول الله ﷺ، وكان لأمّ سلمةَ فأعتقته، واشترطتْ عليه خدمةَ رسول الله ﷺ حياتَهُ، قيل: إنّه أسود، واختُلف في اسمه، فقال بعضهم: اسمه مِهران، وقال بعضهم: اسمه رَبَاح، وقال بعضهم: هو من عجم الفرس واسمه سببه بن مارقية، ذكره ابن جرير في «تاريخه»(١).

* * *

أنسة يكنى أبا مُسَرَّح، وقيل أبا مَسْرُوح، كان من مولدي السراة، وكان يأذنُ على رسول الله ﷺ إذا جلس، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدة كلَّها مع رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: أصله من عَجَمْ الفرس كانت أمُّه حبشيةً وأبوه فارسياً، قال: واسم أبيه بالفارسية كردوي بن أشرنيده من بني مهجوار. ابن جرير في «تاريخه»(٢).

* * *

أبو كبشة اسمه سُلَيْم قيل: إنّه كان من مولّدي مكّة، وقيل: من مولّدي أرض دَوْس، ابتاعه رسولُ الله ﷺ فأعتقَه، فشهدَ مع رسولِ الله ﷺ بدراً وأُحداً، والمشاهدَ تُوفِّي أوّلَ يومِ استُخلفَ عمرُ بن الخطاب سنة ١٣ ثلاث عشرة من الهجرة. ذكره ابن جرير في «تاريخه»(٣).

* * *

يسار الخفّاف: قال عبد الرحمن الهلالي: خرج رسول الله ﷺ ليلةً فانتهى إلى دار قد حفّتها الملائكة، فدخلها، فإذا نور ساطع، فنظر فإذا رجلٌ قائم يصلي، فإذا النور من فيه إلى السماء، فخفّفَ الرجل الصلاة، فقال: «من أنت؟» قال: مملوكُ بني فلان. قال: «ما اسمك؟» قال: يسار. قال: «ما عملك؟» قال: خفّاف. فلما أصبح سأل عنه، فقالوا: ما تصنع به؟ قال: «أعتقه» قالوا: أفلا تولينا أجره؟ قال: «بلى» فأعتقوه، قال: فخرج ليلةً فانتهى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٧١.

(٢) تاريخ الطبري ٣/١٧١.

(٣) تاريخ الطبري ٣/١٧١.

إلى الدار، فلم ير الملائكة، ففتح فدخل فإذا هو ساجدٌ قد قُضي عليه، فنزل عليه جبرائيل، فقال: يا محمد، قد كفيناك غسله فكفنوه وأحسنوا كفنه. «الإصابة»[1].

* * *

يسار، أبو هند الحجام مولى بني بياضة، تخلّف عن بدر، وشهد المشاهد بعدها، وقد حجم رسولَ الله ﷺ فقال: «من سرّه أن ينظر إلى من صور الله الإِيمان في قلبه، فلينظر إلى أبي هند» وقال: «أنكحوه، وأنكحوا إليه» انتهى منه[2].

* * *

أبو فكيهة الجهمي مولى صفوان بن أمية، أسلم قديماً، فربط أمية بن خلف في رجله حبلاً، فجرّه حتى ألقاه في الرمضاء، وجعل يخنقه، فجاء أخوه أُبي بن خلف، فقال: زده. فلم يزل على ذلك حتى ظنَّ أنه مات، فمرّ أبو بكر الصديق فاشتراه، فأعتَقَه واسمه يسار. انتهى منه[3].

* * *

يسار مولى عثمان الثقفي وكان ممن هبط إلى النّبي ﷺ من حصن الطائف، فأسلم، فأعتقه. انتهى من «الإِصابة»[4].

* * *

مدلج الأنصاري بعثه رسولُ الله ﷺ إلى عمرَ يدعوه، فوجدَه نائماً فدفع الغلام البابَ على عمر، فسلَّمَ فلم يستيقظ، فرجع الغلام، وفي الحديث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال للغلام: «أنتَ ممَّن يلجُ الجنَّةَ». وتمام القصة في «الإِصابة»[5].

* * *

---

(1) الإِصابة ٦/ ٣٥١ (٩٣٤١).
(2) الإِصابة ٧/ ٢٠٧ (١١٨٢).
(3) الإِصابة ٧/ ١٥٢ (٨٩٨).
(4) الإِصابة ٦/ ٣٥١ (٩٣٤٨).
(5) الإِصابة ٦/ ٧٤ (٧٨٥٢).

أبو مُوَيْهبة، قيل إنّه كان من مولّدي مُزينة، فاشتراه رسولُ الله ﷺ فأعتَقَهُ[1].

* * *

رباح الأسود وكان يأذنُ لرسولِ الله ﷺ. ابن جرير في «تاريخه»[2].

* * *

فَضَالة مولى رسولِ الله ﷺ نزلَ فيما ذُكر الشام. انتهى منه[3].

* * *

مِدْعَم مولى رسول الله ﷺ كان عبداً لرفاعة بن زَيد الجُذَامي، فوهبه لرسولِ الله فقُتلَ بوادي القُرى يومَ نزلَ بهم رسولُ الله ﷺ، وأتاهُ سهمٌ غَرَبٌ فقتله. ذكره ابن جرير في «تاريخه»[4].

* * *

أبو ضُمَيْرَةَ كان بعضُ نسّابة الفرس زعم أنّه من عجم الفرس من ولد كشتاسب الملك، وأنَّ اسمه رباح بن شيرز، وذكر بعضهم أنّه كانَ ممَّن صارَ في قَسْم رسولِ الله ﷺ في بعضِ وقائعه، فأعتقَهُ، وكتبَ له كتاباً بالوصية، وهو جدُّ حسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرة، وأنَّ ذلك الكتابَ في أيدي ولد ولده وأهل بيته، وأنَّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهدي ومعه ذلك الكتابُ، فأخذه المهديُّ فوضعه على عينيه ووصله بثلاثمائة دينار. ابن جرير في «تاريخه»[5].

* * *

يسار وكان فيما ذُكر نُوبياً، كان فيما وقع في سهم رسولِ الله ﷺ في بعض غزواته، فأعتقَهُ، وهو الذي قتله العُرَنيُّون الذين أغاروا على لقاحِ

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ١٧١.
(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ١٧١.
(٣) تاريخ الطبري ٣/ ١٧١.
(٤) تاريخ الطبري ٣/ ١٧١.
(٥) تاريخ الطبري ٣/ ١٧٢.

رسول الله ﷺ. «تاريخ ابن جرير»[1].

قلت: وهذا غيرُ يسار مولى المغيرة بن شعبة لأنَّ هذا ذكره في «الإِصابة» أيضاً وقالوا: إنَّ هذا نُوبيٌّ وذاك حبشي.

* * *

مِهران، حدَّث عن رسولِ الله ﷺ. ذكره ابن جرير في «تاريخه»[2] في موالي رسول الله ﷺ.

* * *

مابور كان المقوقس أهداه إلى رسول الله ﷺ مع الجاريتين اللتين يُقال لإِحداهما مارية وهي التي تسرّى بها، والأخرى سيرين وهي التي وهبَها رسولُ الله ﷺ لحسان بن ثابت، لما كان من جناية صفوان بن المعطّل عليه، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن بن حسان، وكان المقوقس بعث بهذا الخصيِّ مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسول الله ﷺ ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتّى تَصلا إليه.

* * *

وخرج إليه ﷺ من الطائف وهو مُحاصر أهلها أعبدٌ لهم أربعةٌ، فأعتقهم ﷺ منهم أبو بَكْرة اهـ ابن جرير في «تاريخه»[3].

* * *

أبو حلوة، مولى العباس رضي الله عنه، ذكر في «الإِصابة»[4] أنه جاء إلى النّبي ﷺ فقال له: أنا أبو مُرّة، مولى العباس فقال له النَّبيُّ ﷺ: «بل أنت أبو حلوة».

* * *

---

(1) تاريخ الطبري ٣/ ١٧٢.
(2) تاريخ الطبري ٣/ ١٧٢.
(3) تاريخ الطبري ٣/ ١٧٢.
(4) الإِصابة ٧/ ٤٥ (٢٩٢).

أبو الحمراء، مولى النَّبيِّ ﷺ، واسمه هلال بن الحارث ويقال ابن ظفر.
ذكره ابن حجر في «الإِصابة»[1]

(1) الإِصابة ٧/ ٤٥ (٢٩٧).

الصحابيات اللواتي مسهنّ الرق

فمنهن زوجتا النبي ﷺ وهما جُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار، وصفيّةُ بنت حُيي بن أخطب، حيث أعتقَهما ﷺ وتزوّجهما.

* * *

مارية القبطية رضي الله عنها بنت شمعون التي أَهداها إليه المُقوقسُ ملكُ مصر، وأتاه منها سيدنا إبراهيم صلوات الله على أبيه وعليه وسلم.

* * *

رَيحانة بنت زيد القُرظية، وقيل هي من بني النّضير، ذكرها في «الإِصابة»[١] فقيل بقيت أَمَةً له ﷺ، وقيل أعتقَها وتزوّجها، فأكثرتِ الغيرةَ عليه فطلّقَها، فأكثرتِ البُكاء، حتى راجعها، وماتت عنده ﷺ.

* * *

غُفيرة ـ بفاءٍ مُصغّرةٍ ـ بنت رَباح ـ بفتح الراء ـ هي أختُ بلال المؤذن، وأخيه خالد، ذكرها المستغفري وقال: هم أَخَوَان، وأخت، قاله البخاري. ووقع في الطحاوي في أثناء إسنادٍ: عن عمرَ مولَى غُفَيْرة بنت رَباح أخت بلال. انتهى من «الإِصابة»[٢] لابن حجر.

وترجمها الحفني[٣] أيضاً، لكنْ لم يصرِّحْ بكونها رقيقةً، لذا أخذتُ ترجمتَها من «الإِصابة»، وكم مرَّ من ترجمة الحبشان في تاريخهم للحفني لم يصرِّح برقِّهم، فترَكْتُهم حسبما جريت أنْ لا أذكر في رسالتي هذه إلا من رأيتُ التَّصريح برقِّه في تراجمه، ولا أَتركُ عزوَ شيءٍ لأصله أبداً إن شاء الله تعالى ثم العهدة عمَّن أنقل عنه.

* * *

---

(١) الإِصابة ٨/ ٨٧ (٤٤٤).
(٢) الإِصابة ٨/ ١٥٣ (٨٠٢).
(٣) الجواهر الحسان صفحة ١٥٠.

السيدة هاجر أمُّ إسماعيل وزوجة أبيه إبراهيمَ عليهما وعلى نبينا وسائر الأنبياء الصلاة والسلام، وذلك أنَّ سيدنا إبراهيمَ لما فرّ بدينه من نمروذ أتى مصرَ فطلب فرعونُها سارة إمرأةَ إبراهيم، فذهبتْ إليه، ومنعه اللهُ عنها، فوهبَها هاجرَ ووهبتْها هي لإبراهيم لعلَّ اللهَ أن يرزقَه منها بولدٍ، فلما رُزِقَ بولدٍ منها إسماعيل، وولدٍ آخرَ من سارةَ بقدرة الله تعالى بعد أن أسنَّتْ، فاقتتلا في صغرهما كما يفعل الصبيان، وغارت منها سارة، فقالت: لا تساكنيني في بلدٍ واحدٍ، وأمرتْ إبراهيمَ أن يأخذها، فأمره الله أن يأخذ إسماعيل وأمَّه، لأمرٍ يُريده الله، وكانت هاجرُ قبطيَّةً من قوم فرعونَ، ولذلك قال ﷺ من علومه الغيبية التي أطلعه الله عليها: «إذا افتتحتم مصرَ، فاستوصوا بأهلِها خيراً؛ فإنَّ لهم ذمَّةً ورحماً»، ولا نطيل ببقية قصتها فإنها أشهرُ من أن تُذكر ونحيلها على كتب التفسير والسير والقصص، والله أعلم.

* * *

سعيرة، قال الشيخ ابنُ عبد الباقي رحمه الله تعالى في كتابه «الطراز المنقوش»: هي بالسين والعين المهملتين، وقيل بالشين والقاف المعجمتين، حبشيةٌ مولاةٌ لبني أسد. وذكر الحفني في كتابه «تاريخ الحبشان»[1] تمامَ ترجمتها، أنَّها من المُبشَّرات بالجنَّةِ رضي الله تعالى عنها.

* * *

بركة الحبشية، قال الحافظُ ابنُ الأثير رحمه الله تعالى في كتابه «أسدُ الغابة»: هي جارية أمِّ حبيبة أمِّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها التي قدمت بها من أرض الحبشة، قال رسول الله ﷺ بحقِّها: «قد احتظرتْ ـ أي امتنعت ـ من النارِ بحظارٍ» أي منيع. الحفني[2].

* * *

---

(١) الجواهر الحسان صفحة ١٤٩.
(٢) الجواهر الحسان صفحة ١٥٠.

أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، اسمها بركة بنت ثعلبة، وكانت لأمِّ رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يقول: «أمُّ أيمن أمي بعد أمي». وقد أعتقها وزوّجها من زيد بن حارثة فولدت أسامة.

وكان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن: «يا أمه» وكان إذا نظر إليها يقول: «هذه بقية أهل بيتي».

قال سفيان بن عيينة: كانت أم أيمن تلطف النَّبي ﷺ وتقدم عليه، فقال: «من سرّه أن يتزوّج من امرأة من أهل الجنة، فليتزوّج أم أيمن».

وفي الحديث الصحيح عن أنسٍ قال: كان النَّبيُّ ﷺ يدخل على أم أيمن، فقرّبت إليه لبناً فإما كان صائماً، أو قال: لا أريد فأقبلت تضاحكه. فلما كان بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ قال أبو بكر لعمر: انطلق بنا نزور أمَّ أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها. فلمّا دخلا عليها بكتْ، فقالا: ما يبكيك؟ فما عند الله خير لرسوله. قالت: أبكي أن وحيَّ السماء انقطع. فهيجتهما على البكاء فجعلت تبكي، ويبكيان معها. «الإِصابة»[١].

ولطالما فتشت على تاريخ ولادتها فلم أعثر عليه ويظهر أنها أسنَّتْ، لأنّه قيل إنّها كانت لأمِّ رسول الله ﷺ ولأبيه، وتُوفيت في خلافه عثمان، وقيل غير ذلك.

* * *

أمُّ أيمن وهي أخرى غيرُ من تسمى بركة ذكرها في «الإِصابة»[٢] أيضاً وقال: كانت مولاة ماريةَ أمِّ إبراهيم، ولدِ النَّبيِّ ﷺ، وكانت إذا دخلتْ قالتْ: سلامٌ إلّا عليكم، فرخَّصَ لها النَّبيُّ ﷺ أن تقولَ: سلامٌ عليكم.

* * *

نبعة الحبشية رضي الله تعالى عنها وهي مولاة أمِّ هانىء بنت أبي طالب

---

(١) الإِصابة ٨/ ٢١٣ (١١٣٩).
(٢) الإِصابة ٨/ ٢١٤ (١١٤١).

رضي الله تعالى عنهما، وهي التي أرسلتها أمُّ هانىء لتسمعَ قصَّةَ مَسْرَاه ﷺ حين يخبرُ بها قريشاً، لتنقلها إليها، وذكرها الحفني[1] بطولها مع تفسير آيات الإسراء، ولا حاجة إلى الإطالة بما أطال به غيرُنا.

* * *

الحبشية التي كانت تنبذُ التَّمرَ لرسولِ الله ﷺ، ولم يُعرف اسمها، كانت تخدم رسولَ الله ﷺ، سأل ثمامة بن حزن عائشة أمَّ المؤمنين عن النبيذ ـ أي عن كيفيته الجائزة ـ فقالت: هذه خادمُ رسولِ الله ﷺ فسلها؛ لجاريةٍ حبشيةٍ عندها. اهـ حفني[2].

* * *

سيرين التي وهبها رسولُ الله ﷺ لحسان بن ثابت وولدت له ابنه عبد الرحمن، وقد أهداها أمير القبط وأختها مارية لرسول الله ﷺ، فاستبقى مارية لنفسه وأهدى سيرين إلى حسان وذكرها في «الإِصابة»[3] وإنها كانت حسنةَ الصوت.

* * *

أبرهة الحبشية جاريةُ النَّجاشي أصحمة ملكِ الحبشة في عهد رسولِ الله ﷺ الموكلة بثيابه وطيبه، والواسطة بينه وبين أمِّ حبيبة رضي الله عنها في تزويجها بالنَّبيِّ ﷺ حين بشَّرتها بأن رسولَ الله ﷺ أرسلَ يخطبها، وكان زوجُ أمِّ حبيبة عُبيد الله بن جَحش عكفَ على شرب الخمر، وارتدَّ وهلك كافراً، فلما أُخبر بذلك رسولُ الله ﷺ أرسلَ عَمرو بن أمية الضَّمْري سنة سبعٍ من الهجرة بكتاب إلى النجاشي أصحمة يأمره فيه بأن يخطبَ له السيدة أمَّ حبيبة، فأرسل النجاشي في الحال صاحبةَ الترجمة رضي الله عنها تبشّرها، وقد أوصتْ أبرهةُ أمَّ حبيبة أن تُقرىء رسولَ الله ﷺ السلامَ حينما تصلُ إليه، وأن تُعلمَه بأنَّها اتَّبعت دينَه،

---

(١) الجواهر الحسان صفحة ١٥٠.
(٢) الجواهر الحسان صفحة ١٥٦.
(٣) الإِصابة ١١٨/٨ (٦٠٦).

فلما قدمت أمُّ حبيبة على رسول الله ﷺ، أخبرته بما أخبرتْها به السيدة أبرهةُ، فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال لها: «وعليها السّلام، ورحمةُ الله وبركاته» وتمامه في «تاريخ الحبشان»[1].

والكاتب يقول: ليتني كنتُ ترابةً في نعل من سلَّمَ عليها رسولُ الله ﷺ، ودعا لها بالرَّحمةِ والبركة.

* * *

بَريرة رضي الله عنهاالتي أعتقتها عائشة رضي الله تعالى عنها، واختارت نفسها من زوجها مُغيث، واستشفع لها النَّبيُّ ﷺ، كما في البخاري عن ابن عباس حيث قال لها: «لو راجعته» قالت: يا رسولَ الله، تأمرني ؟ قال: «أنا أشفعُ» قالت: لا حاجة لي فيه.

وفي «الإصابة»[2] في ترجمة مُغيث قال: وفي البخاري من طريق خالد الحذَّاء عن عِكرمة أنَّ زوجَ بريرةَ كان عبداً يُقال له مُغيث، كأنّي أنظرُ إليه يطوفُ خلفها يبكي، ودموعُه تَسيل على لحيته، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ألا تعجب من حبِّ مُغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً. .» الحديث اهـ.

وقد جمع بعضُ الأئمة الفوائد المُستنبطة من حديث عِتق عائشةَ لبريرة فزادت على ثلاثمئة، ولخَّصها في «فتح الباري». وذكر أبو عمر من طريق عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه أنَّ عبد الملك بن مروان قال: كنتُ أُجالسُ بريرة بالمدينة فكانت تقول: يا عبدَ الملك، إني أرى فيك خصالاً، وإنَّك لخليقٌ أن تَلِيَ هذا الأمر، فإنْ وليته فاحذرِ الدماء فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليُدفع عن باب الجنة بعد أن يُنظر إليه بملءِ محجمةٍ من دم يُريقه من مُسلم بغير حقٍّ» «الإصابة»[3].

---

(1) الجواهر الحسان صفحة ١٦٦.
(2) الإصابة ٦/ ١٣٠ (٨١٦٨).
(3) الإصابة ٨/ ٢٩ (١٧٧).

عظماء مسهم الرق

ومهما كانت الأرقَّاء والرقيقات كثيرين في الصَّحابة، ففي غيرهم من عُظماء الإسلام أكثرُ، ونذكر منهم الفقهاءَ المذكورين وترجمتَهم وغيرهم وغير من ذكرنا من الصحابيات.

فأما عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه فقد ذكره ابن قُتيبة في كتاب «المعارف»[1] وقال: هو عطاء بن أسلم من ولد الجند، وأمُّه سوداء تُسمّى بركة، وكان مولى لبني فهر، ويكنى أبا محمد، وكان أسودَ أعورَ أفطسَ أشلَّ أعرجَ، ثم عمي بعد ذلك ومات سنة ١١٥ وهو ابن ثمان وثمانين سنة. وذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في ترجمة عطاء بن أبي رباح ما نصه: وكان رضي الله عنه مولى لأبي ميسرة الفِهْرِي، نشأ بمكَّةَ.

وكان أحمدُ بن حنبل رضي الله عنه يقول: خزائنُ العلم لا يقسمُها اللهُ إلاّ لمن أحبَّ، ولو كان يَخصُّ بالعلم أحداً لكان أهلُ النَّسبِ أولى.

وكان عطاءُ عبداً حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب نوبياً، وكان الحسن البصري نوبياً مولى، وكان ابن سيرين رضي الله عنه مولىً للأنصار.

ومن الموالي أيضاً مكحول، وطَاوس، والنَّخعي، وميمون بن مهران، والضَّحاك بن مزاحم، قاله الزهري.

وكان عطاء يُعلِّم الأكابر العلم وجاءه سليمان بن عبد الملك فجلس بين يديه، فعلَّمه مناسكَ الحجِّ، ثم التفت إلى أولاده وقال: تعلَّموا العلمَ، فإنّي لا أنسى ذلَّنا بين يدي هذا العبد الأسود، وحجَّ عطاء رضي الله عنه سبعين

---

(١) المعارف صفحة ٤٤٤.

حجَّة، وعاش مئةَ سنة وتُوفي بمكَّة سنة خمس عشرة ومئة رضي الله عنه. انتهى[1].

* * *

وقال في كتاب «كشف الأحوال في نقد الرجال»: مكحول، أبو عبد الله عالمُ أهلِ دمشقَ، كان هندياً من سبي كَابل.

قال الشيخ السيوطي: هو من علماء التابعين وفقرائهم، وثَّقه غيرُ واحدٍ، واحتجَّ به مسلمٌ في «صحيحه» سمع أبا أمامة، روى عنه برد بن سنان.

* * *

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»[2]: محمد بن سيرين أدرك ثلاثين صحابياً، وكان أبوه من سبي عين التمر وهو مولى أنس بن مالك، فكاتبه على عشرين ألف درهم فأدّاها وعَتق، وأمُّه صفية كانت مولاةَ أيضاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنهم، والله أعلم اهـ.

* * *

وقد ذكر ابن خلّكان في ترجمة الحسن البصري رضي الله عنه ما نذكر منه: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، وأبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمُّه خيرة مولاة أمِّ سلمة زوجِ النَّبيِّ ﷺ، وربَّما غابت في حاجةٍ فيبكي، فتعطيهُ أمُّ سلمة ثديَها تعلله به فدرَّ عليه ثديها فشربه فيَرونَ أنَّ تلك الحكمة والفصاحة من بركةِ ذلك.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيتُ أفصحَ من الحسن البصري، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل: فأيُّهما كان أفصح؟ قال: الحسن.

وكان أبوه من سبي مَيْسان ـ بُليدة بأسفل البصرة ـ ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، ويُقال: إنه ولد على الرِّق،

---

(1) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥١.
(2) ١/ ٨٢، ٨٣.

وتُوفي بالبصرة سنة ١١٠.

ولم تُقَمْ صلاةُ العصر بالجامع يوم موته، قال حُميد الطويل: لا أعلمُ أنَّها تُركت منذُ كان الإسلام إلّا يومئذٍ حتى لم يبق بالمسجد من يُصلي العصرَ لأنَّهم تبعوا جنازته. وأُغميَ عليه عند موته ثم أفاق فقال: لقد نبَّهتموني من جناتٍ وعيونٍ، ومقام كريم.

وذكر الحلبي في «سيرته» (قُبيل باب بدء الأذان) أنَّ أباه كان من السبي الذي سباه خالد في خلافة أبي بكر.

❁ ❁ ❁

وابنُ سيرين كان بزَّازاً، وكان من موالي أنس بن مالك خادم النَّبيِّ ﷺ كما في «حياة الحيوان» في لفظ (حمام). وذكر مُلّا علي على «الشمائل» في باب لبسه ﷺ أنَّ سيرين كغسلين منصرفٌ لأنَّه ليس فيه إلا العلمية، لكنْ قُيد في بعض الأصول بالفتحة ووجهه غير ظاهرٍ إذِ العجمة فيه غير ظاهرة؛ لأنه من بلاد العرب.

قلت: يوجه بما قاله الجعبري نقلاً عن بعض النحاة: أنَّ مطلق المزيدتين كغلبون ونحوه علَّةٌ لمنع الصرف، مع أنّه من الموالي لا من العرب، فلا بدع أن يكون فيه العجمة، مع احتمال أنَّ سيرين أمُّه فيكون فيه علَّتان التأنيث والعلمية، والله سبحانه أعلم.

ثم هو تابعيٌّ جليل مشهور، إمامٌ في علم التعبير وغيره. أخرج حديثَه الأئمة الستة، وهو من موالي أنس بن مالك، كاتبَهُ على عشرين ألفاً، فأدَّاها وعتقَ، وكان له أولاد ستة كلُّهم نجباء محدِّثون وهم: محمد ومعبد وأنيس ويحيى وحفصة وكريمة.

ومن نوادر الأسانيد: روى محمدُ عن يحيى عن أنيس حيث وقع في الإسناد ثلاثة أخوة كذا في مُلّا علي على «شارح الشمائل» في باب لبسه ﷺ.

وترجمه ابن خلكان في «تاريخه» قال: أبو بكر محمد بن سيرين البصري، كان أبوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه كاتَبَهُ على أربعين ألف درهم، وقيل عشرين ألفاً، وأدّى المُكاتبةَ وكان من سبي مَيْسان، ويقال من سبي عين التمر،

وكان أبوه سيرين من أهل جَرْجَرايا، وكنيته أبو عمرة، وكان يعملُ قدورَ النُّحاس، فجاء إلى عين التمر يعملُ بها، فسباه خالد بن الوليد، وكانت أمُّهُ صفية مَولاةَ أبي بكر الصديق، وكان محمد المذكور صاحب الحسنِ البصري ثم تهاجرا في آخر الأمر، فلما مات الحسنُ لم يشهدْ جنازتَهُ.

وكان الشعبيُّ يقول: عليكم بذلك الرجل الأصم - يعني ابن سيرين؛ لأنه كان في أذنه صمم -.

وكانت إليه اليدُ الطُّولى في تعبير الرؤيا، وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وتوفي تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومئة بالبصرة بعد الحسن البصري بمئة يوم، رضي الله عنهما.

وكان بزازاً، وحُبس بدين كان عليه، وولد له ثلاثون ولداً من امرأةٍ واحدةٍ، وإحدى عشرة بنتاً، ولم يبقَ منهم غيرُ عبد الله، ولمّا مات كان عليه ثلاثون ألفَ درهم دَيْناً، فقضاها ولده عبد الله، فما مات عبدُ الله حتى قُوِّمَ مالُه بثلاثمئة ألف درهم.

وكان محمد المذكور كاتبَ أنس بن مالك بفارس.

وكان الأصمعي يقول: الحسنُ البصري سيِّدٌ سَمحٌ، وإذا حدَّثَ الأصمُّ بشيءٍ - يعني ابن سيرين - فاشدد يديك، وقتادةُ حاطبُ ليلٍ.

قال ابن عوف: لما مات أنسُ بن مالك أوصى أن يُصلِّيَ عليه ابنُ سيرين ويغسّله، قال: وكان ابنُ سيرين محبوساً، فأتوا الأميرَ - وهو رجلٌ من بني أسدٍ - فأذنَ له، فخرجَ فغسّله وكفّنه وصلّى عليه في قصرِ أنسٍ بالطَّفِّ، ثم رحلَ فدخلَ كما هو إلى السجن، ولم يذهب إلى أهله.

وذكر عمر بن شبّه في كتاب «أخبار البصرة» أنَّ الذي غسَّل أنسَ بنَ مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والي البصرة انتهى كلام ابن خلكان[1].

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ١٧٩.

وذكر ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»[1] في وقائع سنة ١٢٤ أنَّ أبا مسلم الخراساني كان يخدمُ عيسى بن مُقبل العِجلي وكان محبوساً في حبس بني أمية، فاشتراه بكر بن ماهان منه بأربعمئة درهم، وخرجوا به معهم فاستندبوه لهذا الأمر، فكانوا لا يوجِّهونه إلى مكان إلاّ ذهبَ ونتج ما يوجهونه إليه، ثم كان من أمره ما كان اهـ.

ثم أتمَّ ترجمتَهُ مطولاً في حوادث سنة ١٢٩ بما لا مزيدَ عليه.

وممّا قاله في ترجمته بحوادثِ تلك السنةِ: وفي هذه السنة غلب خازمُ بنُ خُزيمة على مرو الروذ، وقتل عاملَها من جهة نصر بن سيار، وهو بشر بن جعفر السعدي، وكتب بالفتح إلى أبي مسلمٍ، وكان أبو مسلم إذْ ذاك شاباً حَدَثاً قد اختاره إبراهيمُ لدعوتهم؛ وذلك لشهامته وصرامته وقوّة فهمه وجودة ذهنه.

وأصلُهُ من سواد الكوفة، وكان مولىً لإدريس بن معقل العجلي فاشتراهُ بعضُ دعاة بني العباس بأربعمئة درهم، ثم أخذه محمد بن علي، ثم آل ولاؤه لآل العباس، وزوّجه إبراهيم الإمامُ بابنةِ أبي النجْم إسماعيل بن عمران، وأصدقَها عنه، وكتب إلى دعاتهم بخراسان والعراق أن يسمعوا منه، فامتثلوا أمرَه، وقد كانوا في السنة الماضية قبل هذه السنة ردوا عليه أمرَه لصغره فيهم، فلما كانت هذه السنةُ أكّدَ الإمامُ كتابَهُ إليهم في الوصاةِ به، وطاعته، وكان في ذلك الخير له ولهم.. إلخ ما قال[2].

* * *

- ومن الموالي مالك بن دينار فقد ذكر ابنُ قتيبة الدينوري في كتاب «المعارف»[3] أنّه مولى لبني سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، ويُكنى أبا يحيى، وكان يكتبُ المصاحفَ بالأجرة، ومات قبل الطّاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة.

* * *

---

(١) البداية والنهاية ٩/ ٣٤٠.
(٢) البداية والنهاية ١٠/ ٣٠، ٣١.
(٣) المعارف ٤٧٠.

عاصم بن أبي النَّجود ـ بفتح النون ـ مولى بني أسد، والنَّجود الحمارة الوحشية التي لا تحمل، واسم أمّه بهدلة وهي الخفَّةُ والإِسراع في المشي، أحدُ القرَّاء السبعة المشهورين، ثقةٌ في الحديث والقراآت، توفّي سنة ثمان وعشرين ومئة، وله ترجمة في «الميزان». وتمامه في «شرح الشفا» للشهاب قُبيل القسم الرابع.

* * *

عُقيل بن خالد الأُموي مولاهم ـ بضم العين، وفتح القاف ـ ذكره البخاري كثيراً في سلسلة شيوخ شيوخه، فهو شيخ الليثِ بنِ سعد الإِمام، والليث شيخُ يحيى بن بكر المخزومي ومولاهم ويحيى شيخ الإِمام البخاري. انظر القسطلاني على البخاري أول كتاب الشروط.

* * *

أبو خالد وأبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج القُرشي بالولاء المكيُّ، مولى أمية بن خالد بن أسيد ويُقال: إنّ جريجاً كان عبداً لأم حبيب بنت جُبير زوجة عبدالعزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية فنُسب ولاؤه إليه.

وكان عبد الملك أحدَ العُلماء المشهورين، ويُقال إنَّه أَوَّلُ من صنَّفَ الكتبَ في الإِسلام، وكانت ولادته سنةَ ثمانين للهجرة، وقدم بغدادَ على أبي جعفر المنصور، وتُوفي سنة تسع وأربعين ومئة، وقيل سنة خمسين، وقيل إحدى وخمسين ومئة، ذكره ابن خلّكان بحرف العين[1].

* * *

عبدُ الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي، ولد سنة ثماني عشرة ومئة، وهو مولى لرجلٍ من حنظلة، وأمُّه خوارزميَّةٌ، وأبوه كان تركياً صاحب أبا حنيفة، وأخذ عنه علمَه، مات في رمضان سنة ١٨١ وقبره في هيت مدينة فوق

---

(١) وفيات الأعيان ٣/١٦٣، ١٦٤.

الأنبار على الفرات مشهورٌ يُزار اهـ «تراجم الحنفية» لعبد الحي اللكنوي. وفي كتاب «نزهة المجالس» للصفدي الشافعي في باب ذكر الموت والأمل والصبر.

قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: عبد الله بن المبارك تُستنزلُ الرَّحمةُ بذكره، وترجى المغفرةُ بحبِّه، وهو من تابع التابعين، وكان أبوه تركياً مملوكاً مات سنة إحدى وثمانين ومئة وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنة[1] اهـ.

* * *

ياقوت الحموي أبو عبد الله بن عبد الله الرّومي الأصل، الحموي المولد، البغدادي الدار، الملقب شهاب الدين، كان رقيقاً لرجلٍ تاجرٍ اسمه عسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، ثم أعتقَهُ، وكان يميلُ إلى رأي الخوارج ويتعصَّبُ على علي رضي الله عنه، ولذا فقد أصابه الله بمصائبَ شتَّى، ذكرها ابن خلكان في «تاريخه»[2] وله مؤلفات كثيرة مُفيدة، كان مولده سنة أربعٍ أو خمسٍ وسبعين وخمسمئة ببلاد الروم، ولما اشتهر سمّى نفسه يعقوب، وقدم حلب سنة وفاته، وتوفي في الخان بظاهر مدينة حلب، يوم الأحد لعشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمئة.

* * *

ابنُ حزم الظاهري الشهير، قال في «نفح الطيب»[3] قال الذهبي: هو العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي، مولاهم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي الظاهريُّ، صاحب المُصنفات، وعمره اثنتان وسبعون سنة.انتهى ما نقله الذهبي، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ وتُوفّي سنة ٤٥٦ وتمامُ ترجمته هناك.

* * *

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨٥.
(٢) وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧ـ ١٣٩.
(٣) نفح الطيب ٢/ ٧٧.

عبدُ الرزّاق بنُ همّام بن نافع، مولى لحِمير، ويُكنى أبا بكرٍ، وكان أبوه همّام يروي عن سالم بن عبد الله وغيره، مات عبد الرزاق باليمن سنة ٢١١. «المعارف»[1] لابن قتيبة.

* * *

أبو عامر العَقَدي، عبد الملك بن عمرو، مولى لبني قيس، توفّي بالبصرة سنة ٢٠٤ «المعارف»[2] لابن قتيبة.

* * *

أبو عثمان عمرو بن عُبيد بن باب المتكلّم الزاهد المشهور، مولى بني عقيل، ثم آل عرادة بن يربوع بن مالك.

سئل عنه الحسن البصري فقال للسائل: لقد سألت عن رجلٍ كأن الملائكة أدَّبَتْهُ، وكأن الأنبياء ربَّته.

ولادته سنة ٨٠ ووفاته سنة ١٤٤ وهو راجعٌ من مكة بموضع يُقال له مَرَّان، وتمام عجائب أخباره في ابن خلكان[3].

* * *

ومنهم أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الملقَّب بسيبويه مولى لبني الحارث ابن كعب، وقيل آل الربيع بن زياد الحارثي، توفي سنة ١٨٠ بقرية من قرى شيراز يُقال لها البيضاء، وقيل بالبصرة، وعمره نيفٌ وأربعون سنة، وقيل اثنتان وثلاثون سنة. وسُمّي سيبويه لأنَّ وجنتيه كانتا كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال، وتمامه في ابن خلكان[4].

* * *

---

(١) المعارف ٥١٩.
(٢) المعارف ٥٢١.
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٠-٤٦٢.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٣-٤٦٥.

معروف الكرخي، مولى عليٍّ بن موسى الرضا شيخ السري.

ذكر الشعراني في «الطبقات الكبرى»[1] أنّه مات ببغداد سنة ٢٠٠، وقبره ظاهرٌ يُزارُ، كنيته، أبو محفوظ بن فيروز رضي الله عنه وعنّا به.

* * *

ـ وفي كتاب «المعارف»[2] لابن قتيبة خمسة موالٍ في نسقٍ واحد: داود بن خالد بن دينار وأخواه سهل ويحيى ابنا خالد، وكلُّهم قد رُوي عنهم الحديث. هم موالي آل حُنين الذين منهم إبراهيم بن عبد الله بن حُنين، وكان يروي عنه الزهري. وآل حنين موالي مثقب. ومثقب مولى مسحل. ومسحل مولى شماس. وشماس مولى العباس بن عبدالمطلب.

* * *

ـ مسلم بن إبراهيم، مولى الأزد، ويُعرف بالشحَّام، ويُكنى أبا عمر. مات بالبصرة سنة ٢٢٢. «المعارف»[3] لابن قتيبة.

* * *

الأوزاعي أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي، كان من سبي اليمن، إمامُ أهل الشام، وُلد ببعلبك سنة ٨٨ للهجرة، وتوفي سنة ١٥٧.

والأوزاع بطنٌ من ذي الكَلَاع باليمن، ولم يكن أبو عمرو منهم، وإنما نزلَ فيهم فنُسب إليهم. كما في ابن خلكان[4].

* * *

إمام القراء نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم مولى جَعْوَنة بن شَعُوب الشِّجعي رضي الله عنه، كان عبداً أسودَ، يُكنى بأبي رُوَيم، وقيل غير ذلك.

---

(١) الطبقات ١/ ٩٤.

(٢) المعارف: ٥٩٠.

(٣) المعارف: ٥٢٢.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ١٢٧.

أصله من أصفهان.

وهو إمام دارِ الهجرة - أي المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وإلى الآن يُنسب إليها، فيقال: المدني، مات سنة ١٦٩.

وجعونة الرَّجلُ القصير، ثم سُمّي به الرجل، وإن لم يكنْ قصيراً. وشَعُوب في الأصل اسم المنية. والشِّجعي بكسر الشين المعجمة نسبةً لبني شِجْع وهم من بني عامر بن ليث. وتمامه في ابن خلكان[١].

* * *

ثاني القراء أبو سعيد عبد الله بن كثير المكّي، مولى عَمرو بن علقمة الكناني، تابعيٌّ جليل، أصلُهُ من أبناء فارس، ولد بمكّة سنة ٤٥ في أيام معاويةَ، وأقام مدَّةً بالعراق ثم عادَ إلى مكّة ومات بها سنة ١٢٠ في أيام هشام بن عبد الملك. ذكره ابن خلكان[٢].

* * *

نافع أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عمر، كان ديلمياً، أصابه مولاه عبد الله بن عمر في غزاته، وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب وهو تابعيٌّ جليل توفي سنة ١١٧ رضي الله عنه. ابن خلكان[٣].

* * *

أبو محمد سُليمان بن مهران، مولى بني كاهل، من ولد أسد المعروف بالأعمش الكوفيُّ الإِمام المشهور. روى عنه سُفيان الثوري، ولد سنة ٦٠ وتوفي سنة ١٤٨. ابن خلكان[٤]

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٣٦٨.
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤١.
(٣) وفيات الأعيان ٥/ ٣٦٧.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠.

أبو أيوب، سُليمان بن يَسار مولى مَيمونة زوج النَّبيِّ ﷺ. أحدُ الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو أخو عَطاء بن يَسار توفي سنة ١٠٧ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. ابن خلكان[١]..

* * *

يسار بن نَجيح - بنون مفتوحة، فجيم - وهو مولى الأخنس بنِ شريق وثَّقه أحمدُ وغيرهُ، وهو من الأئمة الثقات، وقال البخاري: متَّهمٌ بالاعتزال، كما في «الميزان» وغيره.

* * *

مجاهد، قال ابنُ قتيبة في «المعارف»[٢] هو مجاهد بن جبر، وكان مولىً لقيس بن السائب المخزومي، قال مجاهد: في مولاي قيس بن السائب نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] فأفطر وأطعم كلَّ يوم مسكيناً.

وكان مُجاهد يُكنى أبا حجاج. ومات بمكّة وهو ساجدٌ سنة ١٠٣ ثلاث ومئة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة انتهى.

وقال الباجوري على «شمائل الترمذي» في باب شعر رسول الله ﷺ: أجمعوا على أمانتِهِ، ولم يلتفتوا إلى ذكر ابن حبان له في «الضعفاء». خرّج له الستة، مات بمكّة وهو ساجدٌ اهـ.

* * *

سعيد بن جبير، قال أبو اليقظان: هو مولى لبني والبة من بني أسد، ويُكنى أبا عبد الله، وكان أسودَ، وكتب لعبد الله بن عُتبة بن مَسعود ثم كتبَ لأبي بُردة، وهو على القضاء وبيت المال، وخرجَ مع ابنِ الأشعث، فلمَّا انهزمَ أصحابُ ابنِ الأشعثِ من دير الجماجم هرب سعيدُ بنُ جُبير إلى مكّة، فأخذه خالدُ بنُ

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٣٩٩.
(٢) المعارف: ٤٤٤.

عبد الله القسري، وكان والي الوليد بن عبد الملك على مكّة، فبعث به إلى الحجاج، فأمر الحجاج فضُربت عنقُه، فسقط رأسُهُ إلى الأرض يتدحرج وهو يقول: لا إله إلا الله، فلم يزلْ كذلك حتى أمرَ الحجاجُ مَنْ وَضَعَ رجلَه على فيه فسكت. وقتله الحجاج سنة أربع وتسعين، وهو ابن تسعٍ وأربعين سنة. من «المعارف»[1] لابن قتيبة.

* * *

بشر بن سعيد هو مولى الحضرميين، وكان عابداً متخلّياً، وروى عن سعد ابن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، ورافق الفرزدق فركبا في محملٍ فعجب الناس، وكان يقول: ما رأيتُ رفيقاً خيراً من الفرزدق. ويقول الفرزدق مثل ذلك فيه.

ومات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ مئة. «المعارف»[2] لابن قتيبة.

* * *

ميمون بن مهران: كان ميمون مُكاتباً لبني نصر بن معاوية، فعتَقَ، وكان ابنه عَمرو بن ميمون مملوكاً لامرأةٍ من الأزد من ثمالة يقال لها: أم نمر، فأعتقته، فلم يزل بالكوفة حتى كان هيج الجماجم، فتحوّل إلى الجزيرة، وكان ميمون والياً لعمر بن عبد العزيز على خَراج الجزيرة، وابنه عمرو على الديوان، وكان ميمون بزازاً فكان يجلس في حانوته وهو يتولّى الخراج. ومات سنة ١١٧ سبع عشرة ومئة، ومات عمرو ابنه سنة ١٤٥ خمس وأربعين ومئة. ابن قتيبة[3].

* * *

أيوب السَّختياني بن أبي تَميمة واسم أبي تميمة كَيْسان. وكان مولى أيوب يُكنى أبا بكر وهو مولى بني عمار بن شدّاد، وكان عمّار مولى لعنزة فهو مولى مولى، وكان يحلق شعرَه في كلِّ سنةٍ مرَّةً، فإذا طالَ فرقَهُ.

---

(١) المعارف: ٤٤٥.
(٢) المعارف: ٤٤٧.
(٣) المعارف: ٤٤٨.

قال في «خلاصة تهذيب الكمال» لصفي الدين الخزرجي الأنصاري: أيوب ابن أبي تَميمة كَيسان السَّختياني - بفتح المهملة أو كسرها، بعدها خاء معجمة ساكنة، ثم مثناة فوقية مكسورة، ثم تحتانية، وآخره نون - العنزي أبو بكر البصري الفقيه أحدُ الأئمة الأعلام روى عن أبي سلمة، وأبي رجاء العطاردي... إلخ وعدَّدَ شيوخه وممّن أخذ عنه.

قال شعبة: حدثني أيوب وكان سيِّد الفقهاء.

قال حماد بن زيد: كان أفضلَ من جالسته وأشدَّه اتباعاً للسنة.

قال ابن عيينة: ما لقيتُ مثله في التابعين.

قال ابن سعد: كان حجّةً جامعاً كثيرَ العلم ولد سنة ٦٦.

قال ابن المديني توفي سنة ١٣١ اهـ.

* * *

الأعمش سُليمان بن مِهران الكاهلي، مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش أحدُ الأعلام الحفّاظ والقرّاء.

قال ابنُ المديني: له ألف وثلاثمئة حديث.

قال ابن عُيينة: كان أقرأهم وأحفظَهم وأعلمهم.

قال عمرو بن علي: كان يُسمَّى المصحف لصدقه.

قال العجلي: ثقةٌ ثبت يقال إنه ظهر له أربعةُ آلاف حديث ولم يكن له كتاب، وكان فصيحاً.

قال النَّسائي: ثقةٌ ثبت.

قال أبو نعيم: مات سنة ١٤٨ عن أربع وثمانين سنة. وتمامه في «خلاصة تهذيب الكمال» لصفي الدين الخزرجي الأنصاري.

* * *

سُفيان بن عيينة بن أبي عِمران الهلالي، أبَو محمد الكوفي، مولى محمد بن

مزاحم الأعور أحدُ أئمة الإِسلام.

قال العجلي: كان حديثه نحواً من سبعة آلاف.

قال ابن وهب: ما رأيت أعلمَ بكتاب الله من ابن عُيينة.

قال الشافعي: لولا مالك وابن عُيينة لذهب علم الحجاز.

مات سنة ١٩٨. «التهذيب» للصفي الخزرجي.

* * *

يزيدُ مولى يزيدَ بنِ أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأمويّ، وهو جدٌّ ابنِ حزمٍ المشهور أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، وهو أوَّلُ من دخلَ الإِسلام من أجداده، وأصله من فارس. كما ذكره ابن خلكان[1] في ترجمة أبي محمد علي بن حزم.

* * *

عبدُ الله بن دينار أبو عبد الرحمن القرشي العدوي المدني، مولى عبد الله بن عمر بن الخطّاب، سمع من ابن عمر وأنسٍ وجماعة، روى عنه ابنه عبد الرحمن، ويحيى الأنصاري، وسهيل، وربيعة الرأي، وموسى بن عُقبة، وهؤلاء تابعيون، وخلائق غيرهم، اتفقوا على توثيقه، توفي سنة سبع وعشرين ومئة، ذكر ذلك ابن علان في «شرح رياض الصالحين» بباب برِّ أصدقاء الأب والأم، والأقارب والزوجة. أوله.

* * *

سالم بن أبي الجعد، ذكره في «الإِحياء» قُبيل باب فضيلة العلم، قال: قال سالم بن أبي الجعد: اشتراني مولاي بثلاثمئة درهم، وأعتقني، فقلت: بأيِّ حرفةٍ أحترفُ؟ فاحترفتُ العلمَ، فما تمَّتْ لي سنة حتى أتاني أجراء أمير المدينة، فلم آذن لهُ.

وترجمه شارحه الزّبيدي قال: سالم بن أبي الجعد الأشجعي، مولاهم

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥.

الكوفي من كبار التابعين، روى عن عمر، وعائشة وهو مرسل، وله حديثٌ واحدٌ في الصحيحين عن أنسٍ وروى أيضاً عن ابن عمر وابن عباس، وعنه الأعمشُ وابنُ منصورٍ، توفي سنة مئة، وهو ثقة.

وذُكر في كتاب «مفيد العلوم ومبيد الهموم» لأبي بكر الخوارزمي جماعةٌ من الموالي ذكرنَا أكثرَهم، وزاد عمّا ذكرنا ربيعة الرأي، وطاوساً رضي الله عن الجميع وعنّا، وعن أولادنا بهم.

* * *

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، مولى آل أُسيد بن أبي العِيص بن أمية، ويُكنى أبا الوليد، توفي سنة خمسين ومئة وله كتاب «السُّنن».

* * *

مغيرة بن مِقْسَم الضَّبي، مولىً لهم، ويُكنى أبا هشام، توفي سنة ١٣٦. من «فهرست» ابن النديم.

* * *

سلمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي، من ولده أبو علي القالي البغدادي إسماعيل بن القاسم بن عَيْذُون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان المذكور، ولما طارَ صيتُ ولده أبي علي القالي استقدَمه الخليفةُ الأُموي بالأندلس عبد الرحمن الناصر، فاستوطن قُرطبة، ولد بمَنازجِرْد من أعمال ديار بكر سنة ٢٨٨ هـ وتوفي بقُرطبة سنة ٣٥٦.

* * *

أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري، مولى عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي، وهو شيخ نافع أحد القراء السبعة، وأبو جعفر أحد العشرة توفي سنة ١٣٢ كما في ابن خلكان[١].

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٤.

الأعمشُ سُليمانُ بنُ محمّد بن مِهران مولى بني كاهِلٍ من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور، مولده سنة ستين للهجرة، وقيل: إنّه وُلِدَ يوم مَقْتَل الحسينِ رضي الله عنه يومَ عاشوراء سنة ٦١، وكان أبوه حاضراً مقتلَ الحسين، توفي سنة، ١٤٨ وقيل غير ذلك. ابن خلكان[١].

* * *

الكِسائي أبو الحسن علي بن حمزةَ بن عبد الله بن عثمان بن فيروز الأسدي بالولاء الكوفي، أحدُ القرّاء السبعة، توفي سنة ١٨٩ بالرّي، وقيل بطُوس سنة ١٨٢، وإنّما قِيل له الكِسائي لأنّه دخلَ الكوفةَ وجاءَ إلى حمزةَ بنِ حبيبِ الزّيات وهو ملتفٌ بكساءٍ، فقال حمزةُ: من يقرأ؟ فقيل له: صاحبُ الكِساء. فبقي عليه، وقيل بل أحرمَ بكساءٍ، فنُسب إليه، رحمه الله تعالى. ابن خلكان[٢].

* * *

موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللَّخمي فاتحُ الأندلس، قال ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»[٣] في وقائع سنة ٩٧: إنه كان مولى لامرأة من اللّخميين، وقيل كان مولى لبني أُميّة، ويُقال: إنه كان أعرجَ، وولد في سنة ١٩. وأصْلهُ من عين التَّمر، وقيل: إنه من أراشة، من بَلَيّ، سُبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصدّيق، وكان اسمُ أبيه نصراً فصُغِّرَ، وتمام ترجمته هناك.

* * *

ابن جِنّي أبو الفتح عُثمان توفي ببغداد سنة ٣٩٣ كما في ابن الوردي. وقال: أبوه جِنّي مملوكٌ روميٌّ لسليمان بن فهر بن أحمد الأزدي الموصلي.

وترجمه أيضاً السيوطي في «بُغية الوعاة»، وقال: إنّ جِنّي معرب كنى.

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠.
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥.
(٣) البداية والنهاية ٩/ ١٧١.

الواقدي: وهو أبو عبد الله محمد بْن عمر بن واقد الواقدي، مولى بني هاشم، صاحب المؤلفات، وشهرته تغلب عن نعته، وكان قاضي بغداد، مقدّماً عند المأمون، ولد سنة ١٣٠، وتوفي سنة ٢٠٧ كما في ابن خلكان[١].

(١) وفيات الأعيان ٣٤٨/٤.

عظيمات مسَّهن الرق

في «السيرة الحلبية»[1] في باب الهجرة إلى المدينة قال: ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضم قال: كنت أجالس سعيد بن المسيّب، وأُعجب سعيدٌ بي يوماً، فقال لي: من أخوالك ؟ فقلت: أمي فتاة[2]. فكأنّي نقصت من عينه، فأنا عنده إذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر، فلمّا خرجَ من عنده، قلت: يا عمِّ، من هذا ؟ قال: سبحان الله، أَتجهل مثل هذا من قومك! ؟ هذا سالم بن عبد الله بن عمر. قلت: فمن أمه ؟ قال: فتاة. ثم دخل القاسم بن محمد، فجلس عنده، ثم نهض، فلمّا خرجَ، قلت: يا عمّ، من هذا ؟ قال: ما أَعجبُ أمرك! أتجهل مثل هذا! ؟ هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر، قلت: فمن أمُّه ؟ قال: فتاة. ثم دخل عليه علي بن الحسين فجلس، ثم نهض، فلما خرِجَ، قلت له: من هذا ؟ قال: عجبت منك! أتجهل مثل هذا! ؟ هذا عليُّ زين العابدين بن الحسين. قلت: فمن أمُّه ؟ قال: فتاة. قلت: يا عمّي، رأيتني نقصت من عينك لمّا علمت أُمي فتاة، فما لي في هؤلاء أسوةٌ ؟ فقال: أجل، وعظمت في عينه جداً.

وذكر الحلبيُّ هناك قصّة هؤلاء الفتيات اللواتي تزوجهن الحسين بن علي، ومحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وأنهن بنات كسرى بن هرمز، وذلك في قصّة سراقة بن مالك حين انتدبه أبو جهل لملاحقة النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر حين الهجرة، وفيها[3]:

ثم جيء ببنات الملك الثلاث، فوقفن بين يدي عمر رضي الله عنه، وأمر المُنادي أن ينادي عليهن، وأن يزيل نقابهن عن وجوههن؛ ليزيد المسلمون في

---

(١) السيرة الحلبية ٢/ ٤٩.
(٢) الفتاة: الأمة.
(٣) السيرة الحلبية ٢/ ٤٩.

ثمنهن، فامتنعن عن كشف نقابهن، ووكزن المنادي في صدره، فغضب عمر رضي الله عنه، وأراد أن يعلوهن بالدرة، وهن يبكين، فقال له علي رضي الله عنه: مهلاً يا أميرَ المؤمنين، فإني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ارحموا عزيز قومٍ ذل، وغنيَّ قومٍ افتقر» فسكن غضبه، فقال له علي: إنَّ بناتِ الملوك لا يعاملن معاملة غيرِهن من بنات السُّوقة. فقال له عمر: كيف الطريقُ إلى العمل معهن؟ فقال: يقوّمن ومهما بلغ ثمنُهُنّ يقوم به من يختارهن. فقُوّمن، وأخذهن علي رضي الله عنه فدفع واحدةً لعبد الله بن عمر، فجاء منها بولده سالم، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فجاء منها بولده القاسم، والثالثة لولده الحسين، فجاء منها بولده الملقب بزين العابدين، وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علماً، وورعاً، وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التَّسرّي، فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم، رغبوا فيه.

قلت: ويقرب مما ذكره الحلبي في «سيرته» ما ذكره ابن قتيبة الدينوري في كتابه «المعارف»[1] قال:

وأما علي بن الحسين الأصغر فليس للحسين عقبٌ إلا منه، ويقال: إن أمَّه سِندية، يقال لها: سُلافة، ويقال: غزالة خلف عليها بعد الحسين زُبيد مولى الحسين بن علي، فولدت له عبد الله بن زُبيد، فهو أخو علي بن الحسين لأُمِّه.

وروى علي بن محمد عن عثمان بن عثمان قال: زوّج علي بن الحسين أمه من مولاه، وأعتق جارية له، وتزوّجها، فكتب إليه عبد الملك يعيّره بذلك، فكتب إليه علي: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] قد أعتق رسول الله ﷺ صفيّة بنت حُيي، وتزوّجها، وأعتق زيد بن حارثة وزوّجه ابنة عمّته زينب بنت جحش.

* * *

الخيزران بنت عطاء زوجة المهدي العباسي، وأمُّ ابنيه الهادي وهارون الرشيد ملكة حازمة متفقهة، يمانية الأصل، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي،

---

(١) المعارف ٢١٤، ٢١٥.

وكانت من جواري المهدي، فأعتقها وتزوّجها، ولمّا مات وولي ابنها الهادي انفردت بكبار الأمور، وأخذتِ المواكب تغدو وتروح إلى بابها، وكانت غلتها مئة ألف ألف وستين ألف درهم، فأمرت بحفر نهرٍ بأرض العراق قرب الأنبار وسمّته الريان.

وبعد موت الهادي وولاية أخيه الرشيد حجّت، وأنفقت أموالاً كثيرة في الصدقات وأبواب البر، وتوفيت ببغداد في ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ١٧٣ للهجرة، فمشى الرشيد في جنازتها وعليه طيلسان أزرق، وقد شدَّ وسطه بحزام، وأخذ بقائمة التابوت حافياً يخبُّ في الطين، حتى أتى مقابر قريش، فغسل رجليه، وصلّى عليها، ودخل قبرها، وتصدق بمال عظيم.

* * *

مراجل جارية هارون الرشيد، وأم المأمون، كانت أقبحَ وأقذرَ جاريةٍ للرشيد، حكى الدَّميري في «حياة الحيوان» قصَّتها وكيف أنَّ زوجتَهُ زبيدةَ حملتْهُ على وطئها حتى حملتْ بالمأمون، وهي قصة طريفة. في الجزء الأول من «حياة الحيوان» ٧٧ ـ ٧٨.

فصل فيما ورد من الترغيب في العتق والإِحسان إلى المملوك والترهيب من ظلمه وإرهاقه

في كتاب «الترغيب والترهيب»[١] في أداء المملوك حقَّ الله، وحقَّ مواليه والترهيب من إباقه من سيده، وما ورد في الترهيب في استعباد الحرِّ أو بيعه، والتفريق بين الوالدة وولدها، وفي الترهيب من تولي الإِنسان غير مواليه أو إفساد القنِّ على سيده.

روى الستة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: أيُّما رجلٍ أعتق امرأً مُسلماً، استنقذَ اللهُ بكلِّ عضوٍ منه عضواً منه من النار».

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ٥٩ وما بعدها.

وفي لفظ: «من أعتق رقبةً مؤمنةً أعتقَ اللهُ بكلِّ عضوٍ منه عضواً من النارِ، حتّى فرجه بفرجه».

وأخرج أبو داود، وابنُ ماجه عن أبي أُمامة عن رسول الله ﷺ: «أيُّما امرىءٍ مُسلم أعتقَ امرأً مُسلماً كان فكاكَهُ من النار، وأيُّما امرأةٍ مسلمةٍ أعتقتِ امرأةً مسلمةً كانت فكاكَهَا من النار».

وروى أبو داود: «وأيُّما رجلٍ أعتقَ امرأتَينِ مُسلمتَيْنِ كانتا فكاكَهُ يجزىء كلُّ عضوٍ منهما عضواً منه». وهذا دليل ما في «الهداية» من استحباب عتقِ الرّجلِ الرّجلَ، والمرأة المرأة؛ لأنّه ظهر أنَّ عتقَهُ بعتق المرأتين بخلاف عتقه رجلا. وانظر «الفتح» أول كتاب العتق. [٥/ ١٤٧]

وفي «الترغيب» للحافظ المنذري زيادةٌ على حديث أبي هريرة السَّابق وهي: قال سعيد ابن مَرْجَانة: فانطلقتُ به إلى عليِّ بنِ الحسين، فعمَدَ عليُّ بن الحسين إلى عبدٍ له، قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو ألف دينار فأعتقه.

وأورد في الباب عن واثلةَ بن الأصقع قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوك، فإذا نفرٌ من بني سليم، فقالوا: إنَّ صاحبنا قد أوجَبَ. فقال: «أعتقوا عنه رقبةً يعتق اللهُ بكلِّ عضوٍ منها عضواً منه في النار». رواه أبو داود، وابن حبّان في «صحيحه»، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما. أوجب: أي أتى ما يُوجبُ له النار.

وعن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، علِّمني، عملاً يُدخلُني الجنَّة. قال: «إن كنتَ أقصرتَ الخِطبةَ، لقد أعرضتَ المسألةَ، أعتق النَّسمةَ، وفكَّ الرقبة» قال: أليستا واحدةً؟ قال: «لا، عتق النَّسَمة أن تفرد بعتقها، وفكُّ الرَّقبةِ أن تُعطيَ في ثمنها، والمنحةَ الوكوف، والفيءَ على ذيّ الرَّحمِ القاطع، فإن لم تطقْ ذلك، فأطعمْ الجائعَ، واسقِ الظمآن، وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر، فإنْ لم تطقْ ذلك، فكفَّ لسانَكَ إلاّ عن خيرٍ». رواه أحمد، وابن حبّان في «صحيحه»

واللفظ له، والبيهقي، وغيره.

وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أنّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «خمسٌ من عملهنَّ في يومٍ كتبَهُ اللهُ من أهلِ الجنَّةِ: من عادَ مريضاً، وشَهِدَ جنازةً، وصامَ يوماً، وراحَ إلى الجُمُعَةِ، وأعتقَ رقبةً». رواه ابن حبّان في «صحيحه».

الترغيب في الإحسان إلى المملوك والترهيب من ظلمه وإرهاقه:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

فالجار ذو القربى: هو الجارُ صاحبُ القرابةِ، فله حقُّها، وحقُّ القرابةِ والإسلام، والجار الجنب: الجار الأجنبي فله حقّان، والصاحب بالجنب، قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر، فله حقُّ الجوار وحقُّ الصحبة. وما ملكت أيمانكم: يريدُ المملوكَ يُحْسِنُ رزقَهُ، ويعفو عنه فيما يُخطىء، ومن ثم رفع أبو هريرة سوطاً على أَمَةٍ له زنجيّةٍ ثم قال: لولا القِصاصُ لأغشيتكه، ولكن سأبيعُك لمن يوفّيني ثمنكِ، اذهبي فأنتِ حرةٌ لوجه الله.

وجاءتِ امرأةٌ إلى النّبيِّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، إنّي قلت لأَمَتي يا زانية، قال: «وهل رأيت عليها ذلك؟» قالت: لا. قال: «أما إنها ستقيدُ منك يوم القيامة» فرجعتِ المرأةُ إلى جاريتها فأعطتها سوطاً، وقالت: اجلديني. فأبت الجاريةُ فأعتقَتْها، ثم رجعت إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرته بعتقِها، فقال: «عسى أن يكفِّرَ عتقُكِ إيّاها ما قذفتيها به».

وروى أبو يَعْلى بأسانيدَ أحدُها جيّدٌ عن أمِّ سَلَمة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله ﷺ في بيتي، وكان بيده سواك، فدعا وصيفةً له أولها حتى استأثرَ الغضبُ في وجهه، وخرجت أمُّ سلمة إلى الحُجُراتِ، فوجدتِ الوصيفةَ وهي تلعبُ ببهيمةٍ، فقالت: ألا أراكِ تلعبينَ بهذه البهيمةِ، ورسولُ الله ﷺ يدعوكِ؟

فقالت: لا، والذي بعثك بالحقِّ ما سمعتُك: فقال ﷺ: «لولا خشيةُ القَوَدِ لأوجعتُكِ بهذا السِّواكِ» وفي رواية: «لضربتُك بهذا السِّواكِ»(١).

وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رجلاً قعدَ بين يدي رسولِ الله ﷺ فقال: إنَّ لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمُهم وأضربُهم فكيف أنا منهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: إذا كان يومُ القيامة يحسب ما خانوكَ وعصوكَ وكذبوكَ وعقابك إيَّاهم، فإذا كان عقابُكَ بقدرِ ذنوبهم كان كِفافاً، لا لكَ ولا عليك، وإن كان عقابُك إيّاهم فوق ذنوبهم اقتُصَّ لهم منك الفضلُ» فتنحّى الرَّجلُ، وجعل يهتفُ ويبكي، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أما تقرأُ قولَ الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٦] فقال الرجل: يا رسولَ الله، ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، وأشهدُكَ أنَّهم أحرار.

وكان ﷺ يوصي بهم عند خروجه من الدنيا، ثم يقول: «ولا تعذِّبُوا خلقَ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ ملكَكُم إيَّاهم، ولو شاءَ لملَّكَهُم إيّاكم».

وروى أبو داود عن عليٍّ كرم الله وجهه قال: كان آخرُ كلامِ النَّبيِّ ﷺ: «الصلاةَ الصلاةَ، اتَّقوا اللهَ فيما ملكتْ أيمانُكم».

وروى ابن حِبان في «صحيحه» ومسلم باختصار: «للمملوك طعامُه وشرابُهُ وكسوتُه، ولا يكلَّف إلا ما يطيق، فإنْ كلّفتموهم فأعينوهم، ولا تعذّبوا عبادَ الله خلقاً أمثالكم».

وروى الترمذي أنّه ﷺ قال في العبيد: «إنْ أحسنوا فاقبلوا، وإن أساؤوا فاغفروا، وإن غلبوكم فبيعوا».

وروى أبو داود أنَّ أبا ذرٍّ ألبس غلامَه مثلَه، وأنَّه ذكرَ أنَّ سببَ ذلك أنّه عيَّرَ رجلاً بأمِّه لكونها أعجمية - ذلك الرجلُ بلالُ بن رباح مؤذنُ رسولِ الله ﷺ - فشكاه إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «يا أبا ذر، إنّك امرؤٌ فيك جاهليةٌ» ثم قال:

---

(١) مسند أبي يعلى ١٢/ ٣٧٣ (٦٩٤٤).

«إنّهم إخوانُكُم فضَّلَكم اللهُ عليهم، فمن لم يُلائمْكم فبيعوه، ولا تعذِّبوا خلقَ الله».

ورواه الشيخان والترمذي بمعناه، إلا أنَّهم قالوا فيه: «هم إخوانُكم جعلهم اللهُ تحت أيديكم، فمن جعلَ اللهُ أخاه تحت يده فليطعمْه ممّا يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلِّفه من العمل ما يغلبه، فإن كلّفَهُ ما يغلبه فليعِنْه عليه».

وثمّة رواياتٌ أخر بمعناه.

وروى الطبرانيُّ بسندٍ رواتُه ثقات: «من ضربَ مملوكَه ظلماً أُقيدَ منه يوم القيامة».

وروى الشيخان، والترمذي واللفظ له: «من قذفَ مملوكاً بريئاً ممّا قال أُقيم عليه الحدُّ يوم القيامة إلاّ أن يكونَ كما قال».

وروى أبو داود عن زاذان قال: أتيتُ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما وقد أعتقَ مملوكاً له، فأخذَ من الأرض عوداً أو شيئاً، فقال: ما لي فيه من الأجر ما يسوى هذا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من لطمَ مملوكاً له أو ضربَه فكفّارتُه أن يعتقَه».

وروى مسلم: «من ضربَ مملوكاً له حدّاً لم يأته، أو لطمَ فإنَّ كفارته أن يعتقَهُ».

وروى مسلم وغيره عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضربُ غلاماً لي بالسَّوطِ فسمعتُ صوتاً من خلفي: «اعلم أبا مسعود» فلم أفهم الصَّوتَ من الغضب، فلما دنا منّي إذا هو رسولُ الله ﷺ، فإذا يقول: «اعلم أبا مسعود أنَّ الله تعالى أقدرُ عليكَ منك على هذا الغلام» فقلت: لا أضربُ مملوكاً بعده أبداً.

وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله تعالى، فقال: «أمَا لو لم تفعلْ للفحتك النارُ أو لمسَّتك النار».

وروى أبو يعلى، وابنُ حِبّان في صحيحهما: «ما خفَّفْتَ عن خادمِك من

عمله كان لك أجراً في موازينك».

ودخل جماعةٌ على سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو أميرٌ على المدائن، فوجدوه يعجن عجينَ أهله، فقالوا: ألا تترك الجاريةَ تعجن ؟ فقال رضي الله عنه: إنّا أرسلناها في عملٍ، فكرهنا أن نجمعَ عليها عملاً آخر.

وروى أبو داود، والترمذي وقال: حسن غريب وفي بعض النسخ حسن صحيح: يا رسولَ الله، كم أعفو عن الخادم ؟ قال: «كلّ يومٍ سبعين مرّةٍ».

وفي روايةٍ سندها جيّدٌ: إنَّ خادمي يسيء ويظلمُ، أفأضربُهُ ؟ قال: «تعفو عنه كلَّ يومٍ سبعين مرّة».

كله من «زواجر ابن حجر» وتمامه فيه.

الترغيب في أداء المملوك حقَّ الله وحقَّ مواليه، والترهيب من إباقه من سيده:

أخرج مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أيّما عبدٍ أبقَ فقد برئت منه الذِّمةُ».

وأخرج أيضاً: «إذا أبقَ العبدُ لم تُقْبل له صلاةٌ».

وفي روايةٍ: فقدِ كفرَ حتى يرجعَ إليهم».

وأخرج الطبراني بإسنادٍ جيّدٍ، والحاكم عن ابن عمرَ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «اثنان لا تُجاوزُ صلاتُهما رؤوسهما: عبدٌ أَبَقَ من مواليه حتّى يرجعَ، وامرأةٌ عصت زوجَها حتى ترجع».

وروى الطبراني في «الأوسط» عن جابر رضي الله عنه: «أيُّما عبدٍ مات في إباقه دخلَ النار، وإن قتل في سبيل الله».

وروى الطبراني، وابنا خُزيمة، وحبان في صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «ثلاثةٌ لا يَقْبَلُ اللهُ لهم صَلاةً، ولا يصعَدُ لهم إلى السَّماءِ حسنةٌ: السَّكرانُ حتّى يصحوَ، والمرأةُ السَّاخطُ عليها زوجها، والعبدُ الآبقُ

حتى يرجعَ، فيضعَ يدَه في يدِ مواليه».

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبدَ إذا نصحَ لسيِّدِه، وأحسنَ عبادةَ اللهِ، فله أجرُهُ مرّتين». رواه البخاريُّ، ومسلم، وأبو داود.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المملوكُ الذي يُحسنُ عبادةَ ربِّه، ويؤدِّي إلى سيِّده الذي عليه من الحق والنَّصيحةِ والطاعةِ له أجران». رواه البخاري.

وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لهم أجران: رجلٌ من أهل الكتابِ آمنَ بنبيِّهِ وآمن بمُحمَّدٍ ﷺ، والعبدُ المملوك إذا أدّى حقَّ اللهِ وحقَّ مواليه، ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فأدَّبها فأحسنَ تأديبها، وعلَّمَها فأحسنَ تعليمها ثم أعتقَهَا فتزوَّجَها فله أجران». رواه البخاري، ومسلم، والترمذي بلفظٍ آخرَ، وحسَّنه.

وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «للعبدِ المملوكِ المُصلح أجران» والذي نفسُ أبي هريرةَ بيده لولا الجهادُ في سبيلِ الله، والحج، وبرّ أُمي لأحببتُ أن أموتَ وأنا مملوكٌ. رواه البخاري، ومسلم.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «عبد أطاعَ اللهَ، وأطاعَ مواليه أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ قبل مواليه بسبعين خريفاً، فيقول السَّيِّدُ: ربِّ، هذا كان عبدي في الدنيا، قال: جازيتُهُ بعمله، وجازيتُكَ بعملك». رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: تفرَّد به يحيى بن عبد الله بن عبد ربه الصفّار عن أبيه، قال الحافظ: لا يحضرني فيهما جرحٌ ولا عدالة.

وعن أبي بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يدخلُ الجَنَّةَ بخيلٌ، ولا خِبٌّ ولا سيىء الملكة، وأوَّلُ من يقرعُ باب الجنَّةِ المملوكون إذا أحسنوا فيما بينَهم وبين الله عزَّ وجلّ، وفيما بينهم وبين مواليهم». رواه أحمد، وأبو يَعْلى بإسنادٍ حسن، وبعضُه عند الترمذي، وغيره.

وتمامه في «الترغيب»[1].

الترهيب من اعتباد الحر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيِّ ﷺ قالَ: «قالَ الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خصمُهُم يوم القيامة، ومن كنت خصمَهُ خصمتُهُ؛ رجلٌ أعطى بي ثُمَّ غدر، ورجلٌ باع حرّاً فأكلَ ثمنَهُ، ورجلٌ استأجرَ أَجيراً فاستوفى منه ولم يوفّه أجرَه». رواه البخاري، وابنُ ماجه، وغيرُهما.

وعن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «ثلاثة لا تُقبلُ منهم صلاةٌ: من تقدَّمَ قوماً وهم له كارهون، ورجلٌ أتى الصلاة دباراً - والدّبارُ أن يأتيها بعد ما تفوته - ورجلٌ اعتبَدَ محرره». رواه أبو داود، وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عمران المعافري عنه.

قال الخطابي: واعتباد المحرر يكون من وجهين؛ أحدهما أن يعتقه ثم يكتم عتقه، أو ينكره، وهذا أشرُّ الأمرين، والثاني: أن يعتقله بعد العتق فيستخدمه كرهاً. من «الترغيب»[2] للمنذري.

الترهيب من التفريق بين الوالدة وولدها بالبيع ونحوه:

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من فرَّقَ بين والدةٍ وولدها، فرَّقَ اللهُ بينه وبين أحبَّته يوم القيامة». رواه الترمذي، وقال حديث حسنٌ غريب، والحاكم، والدارقطني، وقال الحاكم: صحيحُ الإِسناد.

وعن عِمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ملعونٌ مَنْ فَرَّقَ». قال أبو بكر بن عياش هذا مُبهمٌ، وهو عندنا في السَّبي والولدِ. رواه الدارقطني من طريق طليق بن محمد عنه، وطليقٌ مع ما قِيل فيه لم يسمعْ من عِمران. ورواه ابن ماجه، والدارقطني أيضاً من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ٥٨.

(٢) الترغيب والترهيب ٣/ ٦٣.

مجمع، وقد ضعف عن طليق بن عمران عن أبي بُردة عن أبي موسى قال: لعنَ رسولُ الله ﷺ من فرَّقَ بين الوالدة وولدها، وبين الأخ وأخيه. من «الترغيب»[1] للمنذري.

الترهيب من تولي الإِنسان غير مواليه:

أخرج الشيخان من جملةِ حديث «.. ومن ادَّعى إلى غيرِ أبيه، أو انتمى إلى غيرِ مواليه فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاس أجمعين، لا يقبلُ اللهُ منه يوم القيامةِ صرفاً ولا عدلاً».

وروى ابن حِبّان في «صحيحه»: «من تولّى إلى غير مواليه فليتبوأْ مقعدَه من النار».

وروى أبو داود: «من ادَّعى إلى غيرِ أبيه أو انتمى إلى غيرِ مواليه فعليه لعنةُ الله المُتَتَابعة إلى يوم القيامة».

الترهيب من إفساد القنِّ على سيده:

أخرج أحمد بإسناد صحيح، واللفظُ له، والبزارُ، وابنُ حِبّان في «صحيحه» عن بُريدة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «.. ومن خبَّبَ على امرىء زوجتَه أو مملوكَه فليس منّا». ومعناه: أفسد وخدعَ.

وروى أبو يَعْلى بسندِ رواتُه ثقات، وابنُ حِبّان في «صحيحه»: «من خبَّبَ عبداً على أهله فليسَ منّا، ومن أفسدَ امرأةً على زوجها فليس منّا».

وعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: سألتُ النّبيَّ ﷺ: أيُّ العملِ أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله، وجهادٌ في سبيله» قلتُ: فأيُّ الرِّقاب أفضلُ؟ قال: «أغلاها ثمناً وأنْفَسها عند أهلها» قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق» قال: فإن لم أفعل؟ قال: «تدع النّاسَ من الشرِّ؛ فإنّها صدقةٌ تصدّق بها على نفسك».

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ٣١.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أمرَ النَّبيُّ ﷺ بالعَتَاقَةِ في كسوف الشمس. وفي سندٍ آخرَ قالت: كُنَّا نُؤمر عند الخسوف بالعَتَاقة.

فانظر يا رعاك الله إلى هذا الترغيب بالعتق في زمن المخافات والآيات. كما ترجم البخاريُّ لهذه الأحاديث، وانظر الأمر بإعتاق «أغلاها ثمناً» وما ينطوي عليه من حكم استغناء النفيس عن غيره، بما يحتويه من صنائع وغيرها، كي لا يكونَ محتكراً على سيّده؛ بل ليكون نافعاً بقدر نفاسته وميّزاته للأمة أجمع.

وللمملوكِ إذا نصحَ سيِّدَه عظيمُ الأجرِ أيضاً، فقد ذُكر في «روح البيان» آخر تفسير سورة الحديد قال: عن أبي موسى رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ يؤتونَ أجرهم مرَّتين، الرَّجلُ يكونُ له الأَمَةُ فيعلِّمُها، فيحسنُ تعليمَها، ويؤدِّبُها فيحسنُ تأديبها، ثم يعتقُها ويتزوَّجها فله أجران، ومؤمنُ أهلِ الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنَّبيِّ ﷺ فله أجران، والعبدُ الذي يؤدّي حقَّ الله وينصحُ لسيده». ولذا بكى بعض العبيدُ حين أُعتقَ؛ لأنَّه ذهبَ أجرُ النُّصح لسيده، وبقي أجرُ أداءِ حقِّ الله تعالى اهـ.

ويكفي رحمة ربِّهم قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [النساء: ٢٥] حيث خفَّفَ اللهُ الوطأةَ على الرَّقيقات، وحيثُ كان الرِّقُ هو السبب، فالتنصيصُ عليه في الرَّقيقاتِ يشملُ الأرقّاءَ أيضاً؛ بدلالة النصِّ وقال عدَّةٌ: إنَّ المذكرَ يشملُ المؤنث على سبيل التغليب، ولكن هنا عكسُ القاعدة وهو شمولُ المؤنَّثِ للمذكَّر. فمن يدعي ظلمَ الرَّقيقِ في الإسلام فهو الظَّالمُ الكاذب ومثله في عكس القاعدة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

حيث يشمل حكمُها لمن يرمي المحصنين أيضاً، وليس الحكمُ خاصاً بالنساء.

وفي باب العِتق من «البخاري»: حدّثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شُعبة،

حدثنا واصل الأحدب قال: سمعت المَعْرورَ بن سُويد قال: رأيتُ: أبا ذَرٍّ الغفاري رضي الله عنه وعليه حلّةٌ وعلى غُلامه حلّةٌ، فسألناه عن ذلك فقال: إنّي سابَبتُ رجلاً، فشكاني إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال لي النَّبيُّ ﷺ: «أعيَّرتَهُ بأُمِّه؟» ثم قال: «إنَّ إخوانكم خولُكم جعلَهم اللهُ تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمْه ممّا يأكلُ، وليلبسْه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإنْ كلّفتموهم ما يغلبُهم فأعينوهم».

وبعد فهذا ما وفقني إليه ربّي من جمع أدلة، وبيان حقيقة أسأل الله أن ينفعني - وسائر المسلمين - به والحمد لله ربِّ العالمين، وصل اللهم على سيد المرسلين وخاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ، فإن الرق في الإسلام موضوع كثر ناقدوه من أهل الزيغ ، كما كثر المدافعون عن الإسلام فيه من أهل الحق ، وممن أسهم في الدفاع عن الإسلام فيما يتعلق بالرق الطبيب الشيخ أبو اليسر عابدين في هذا الكتاب ، فقد ذكر حكم الرق ، وبلغت عنده اثنتي عشرة حكمة ، ذكر سبب الرق ، ثم ذكر (أمريكا ومشكلة الزنوج) وكيف يعاني الزنوج من الأمريكيين البيض الذين يزعمون أنهم أنصار الحرية وأنهم مناهضون للرق ، وذكر كيف يعاني الزنوج منهم ما هو أشد من الاسترقاق ، كل ذلك بالأدلة النقلية الصحيحة ، وذكر أن محاربتهم للرق إنما هو مجرد طعن في الإسلام عداوة ليس غير ، ثم ذكر الاضطهاد العنصري في البلاد التي يزعم أهلوها أنهم أنصار الإنسان وحريته .

ثم ذكر بشكل عام ما كانت عليه الأمم غير المتدينة من ظلم البشر ، ثم ذكر الاسترقاق في الديانة النصرانية .

ولقد بيّن رحمه الله أن الإسلام أقرّ الرق إذ كان قانوناً دولياً ، فكان لهذا مضطراً أن يعامل بالمثل ، غير أن الرقيق الذي يسترق في الدولة الإسلامية تفتح له للتحرير من الرق أبواب كبرى أوصدت أمامه بالنسبة لغير المسلمين . وبيّن بعد ذلك أن الأرقاء في المسلمين لكثرة ما كان لهم من الحقوق والحريات في رقهم كانوا علماء ، بل بلغوا أعظم درجات العلم والولاية والصلاح والتقوى ، وضرب لذلك الأمثال ، فذكر لقمان الحكيم ، وبلال الحبشي ، ومغيث زوج بريرة ، وأسامة بن زيد وأباه زيداً ، وجبير مولى عبد الدار ، وأبا بكرة الحبشي ، وعامر بن فهيرة وغيرهم من التابعين وغيرهم .

في ١٩٩٥/٨/٢٦

شيخ قراء الشام

محمد كريم راجح